مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٤)

الرؤية الانطباعية
فى نقد الشعر حتى نهاية العصر الأموى

إعداد

د / حمدان عطية الزهرانى

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية -كلية الآداب

جامعة الملك عبد العزيز - جدة

السنة ٢٨ العدد (١٠٩) ابريل ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الرؤية الانطباعية في نقد الشعر حتى نهاية العصر الأموي

د. حمدان عطية الزهراني□

أستاذ مشارك- جامعة الملك عبدالعزيز- كلية الآداب- قسم اللغة العربية- جدة.

مستخلص

يحاول هذا البحث رصد الرؤية الانطباعية في نقد الشعر في مراحله الأولى من العصر الجاهلي وحتى نهاية عصر بني أمية، وذلك من خلال الوقوف على أبرز المرويات النقدية التي نسبتها المصادر الأدبية إلى هذه الحقبة. وباستجلاء ملامح هذه المرويات تبين أن نقد الشعر في هذه المرحلة نقد تأثري يعتمد على الذوق الشخصي، وتتحكم فيه دوافع ذاتية وانفعالات آنية، تخلو غالبًا من التحليل والتعليل والاستنباط، وهي مرحلة أولية مرّ بها النقد قبل التحول إلى المعيارية والموضوعية،وأن النقدالانطباعي جاء في عبارات موجزة وأحكام عامة أملتها الفطرة وطبيعة الحياة المصاحبة للشعر في تلك الفترة وينبغي أن تؤخذ في إطارها الزماني والمكاني دون إسقاطات لا تتناسب مع روح العصر وطبيعة نقد الشعر الذي نسب إليه.

تمهيد: النشأة والمفهوم:

يميل الإنسان بفطرته وطبعه إلى نقد الأشياء من حوله، فهو ينجذب إلى أشياء معينة فيعبر عن حبه لها وإعجابه بها، وينفر طبعه وذوقه من أشياء أخرى فيعبر عن بغضه واستهجانه لها، وبفضل ما لديه من قدرة وإحساس وما اكتسبه من تجارب وخبرات استطاع أن يميز بين المتشابهات وأن يفرق بين المتناقضات، وأن يعرف مواطن الحسن والجمال والقبح والجودة والرداءة في كثير من شؤون الحياة، ويرى ذلك النقد ضرورة ما دام ينزع بطبعه وذوقه إلى الجمال والكمال ويحاول الانعتاق من أسباب النقص والتقصير.

وقد تعددت ميادين النقد وتنوعت أسبابه واختلفت وسائله وطرائقه في شتى مناحي الحياة، وأصبح هذا النقد مع مرور الزمن يخضع لأصول ومقاييس عامة ومتنوعة منها الذاتي" الانطباعي " والموضوعي " المعياري " تختلف بحسب طبيعة كل فن ومقوماته الخاصة به، ويبرز هذا المفهوم بشكل أكبر وأوضح في الأعمال الإنسانية الرفيعة كالشعر الذي يحتاج إلى ذوق وطبع ومهارة، وتخضع صناعته لأسرار وأساليب تتجلى فيها البراعة والحذق وحسن الدراية، لأنه مهما اقترب من الانطباعية (انفعالات، وعواطف، ومشاعر، وخيال،...) واعتمد على الذوق الشخصي فإن عناصره الموضوعية تتداخل بشكل كبير وتتحكم في جودة الإبداع وتفوقه. والأدب عمومًا ليس مجرد تصوير ونقد للحياة وإنما هو

• تاريخ تسليم البحث (ديسمبر /٢٠١٦) * تاريخ الموافقة على البحث (مارس / ٢٠١٧)

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

صياغة فنية لتجربة بشرية، ولا شك أن الصياغة الفنية وطريقة التعبير تعد من أهم مقومات العمل الأدبي، وهي ليست أمرًا شكليًا أو مجازات وتشبيهات تتعلق بظواهر الأشياء أو تستخدم لإيضاح المعنى وتقويته، بل أمر الخلق الفني في صميم حقيقته[١] من حيث أن الأدب فن لغوي في المقام الأول، يستمد قيمته ووظيفته من مجموع العلاقات القائمة بين عناصره المكونة لذاته المعلنة عن حقيقته التي يستمد منها النقد وجوده ويبني كيانه، والشعر أعلى مراتب الأدب، وقد كان "علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[٢].

والنقد فن من فنون الدرس الأدبي له أصوله ومناهجه وطرائقه أطلق عليه العرب قديمًا علم الكلام وعلم صناعة الشعر، ولم تستعمل كلمة نقد بمعناها الاصطلاحي إلا في عصور متأخرة، وقد كان الجاهليون يستعملون كلمة "تحكيم" أو حكومة، كما في حكومة أم جندب وتحكيم النابغة، ولعل أول نصّ وردت فيه هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي ما جاء في " دلائل الإعجاز" على لسان صديق البحتري قال: "رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال: ما هذا؟ فقلت شعر الشنفرى فقال: وإلى أين تمضي؟ فقلت إلى أبي العباس "ثعلب" أقرؤه عليه، فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة فما رأيته ناقدًا للشعر[٣].

وقد استعمل قدامة بن جعفر كلمة "نقد" بالمفهوم الاصطلاحي في عنوان كتابه "نقد الشعر"، وهو يعني تمييز جيد الشعر من رديئة، وذلك بالبحث عن عناصره المكونة له من لفظ ووزن وقافية ومعنى، قال: ولم أجد أحدًا وضع في "نقد الشعر" وتخليص جيده من رديئة كتاباً..."[٤]، وورد لفظ "النقاد" كذلك عند الآمدي في الموازنة بين الطائيين، قال: "إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه،.. وفهمه النقاد في علم الشعر،[٥] وسمى ابن رشيق كتابه "العمدة في محاسن الشعر ونقده" وأفرد فيه بابًا سماه "باب في التصرف ونقد الشعر"[٦]. ولا يعدو مفهوم اللفظة في هذه النصوص السابقة عن معنى التفسير والتوضيح والتمييز والحكم، فالوقوف على العمل الأدبي وبيان عناصره وفنونه وما عرض له من أسباب الحسن والقبح والجودة والرداءة وتقدير قيمته الفنية هو أساس النقد الأدبي، لذلك جاء في بعض تعريفاته أنه "فن دراسة النصوص الأدبية بتفسيرها والكشف عن معناها ومعرفة اتجاهها الأدبي وبيان قيمتها ومساعدة القارئ على تذوق جمال النصوص"[٧].

والذي لا شك فيه أن النقد عند العرب قد نشأ عربيًا ولم يتأثر في نشأته الأولى بمؤثرات أجنبية فالبدايات كانت عبارة عن ملحوظات خاطفة قوامها الذوق الطبيعي والاعتماد على الانفعال والتأثر دون أن يكون هناك شرح أو تعليل، وهو يشبه في بدايته نشأة النقد عن اليونان الذي كان في بداية أمره قائمًا على الانطباع والحس وردة الفعل دون أن يكون هناك

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أصول نقدية وقواعد مقررة، وكذلك الحال بالنسبة للنقد العربي حيث بدأ بالمرحلة الانطباعية، بمعنى أنه بدأ بما عبر عنه الناس عما يجدونه في نفوسهم من آثار تركها الشعر فعبروا عنها بالاستحسان أو الاستهجان فكانت هذه البداية الفطرية الانطباعية المرتجلة هي النواة الأولى لنقد الشعر عند العرب، بدأها الشعراء ثم متذوقو الشعر قبل اللغويين والنقاد، فكان الشعراء أنفسهم هم أول من مارس النقد على أشعارهم، يقول الجاحظ: "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولًا كريتًا وزمنًا مديداً"[٨] بمعنى أن الشاعر هو أول من نظر في أعطاف قصيدته فأعاد النظر فيها بالتهذيب والتنقيح، والشعراء يرون في أنفسهم مقدرة أكبر من غيرهم في نقد الشعر ومعرفة طرق الإبداع فيه،[٩] وقد نقل عن البحتري أنه عندما قيل له إن ثعلبًا يخالفك في رأيك في أبي نواس قال: "ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه"[١٠]. ويقصد بمضايق الشعر ذلك " الجهد البالغ الذي يقف وراء ظاهرة الانثيال وعفو القول وهو جهد بالغ التعقيد تتضافر عليه ملكات الشعر في الأديب"[١١]، وبشار يقول: "إنما يعرف الشعر من يضطر إلى قول مثله"[١٢]. ودافع المتنبي عن موقف الشاعر وشبهه بالحائك "والثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه"[١٣].وساند هذه الفكرة بعض النقاد الذين أقروا بأن من يحكم في الشعر هم الشعراء لا المؤدبة، وبمثل هذا جرت سُنّة العرب في القديم فقد كانت تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ وتأتي إليه الشعراء من سائر الآفاق فتعرض عليه أشعارها فيحكم لمن أجاد منهم.[١٤].

ويرى آخرون عدم الاعتماد كثيرًا على رأي الشاعر نظرًا لعدم الموضوعية وطغيان الانطباعية وتوقع الحسد، والعصبية التي قد تمنع الشاعر من الحياد في حكمه[١٥]. فلم يجعلوا القدرة على قول الشعر شرطًا في نقده، وقديمًا قيل: انتقاد الشعر أشد من نظمه، وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته"[١٦]. وقال قائل لخلف الأحمر: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت أنت وأصحابك. فقال له: إذا أخذت درهمًا فاستحسنته فقال لك الصراف إنه رديء هل ينفعك استحسانك له[١٧].

والناقد لابد له من ملكة ناقدة متذوقة يستطيع بها أن يميز مواضع الحسن والقبح في العمل الأدبي ويدل عليها، واشترطوا للموهبة وسلامة الذوق قدرًا من الثقافة والموضوعية، وقديمًا كان أدباء الكتاب وحذاق الشعر هم الأقدر على فهم الشعر ونقده وذلك لتعدد ثقافاتهم وتنوع مناهلهم ومشاربهم وتمرسهم بالنقد فأصبحوا أكثر بصرًا ومعرفة بأنواع الكلام وأسرار صناعته، يقول الجاحظ "ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حذاق الشعر أظهر"[١٨]، فالحاذقون بالشعر في رأي الجاحظ هم أقدر الناس على كشف جمالياته وتحديد اتجاهاته وأساليبه.

واشترطوا أيضًا أن ترفد هذه الثقافة بالدربة والممارسة النقدية، فابن سلام يشترط أن يكون الناقد ذا بصر بالشعر خبيرًا به... فإن كثرة الممارسة لتعدي على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به[١٩]، وقد جعل الآمدي من الخصائص التي يفضل بها أهل الحذق من سواهم في كل علم، " علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يفضل أهل الحذاقة غيرهم..."[٢٠]. وتتباين الآراء حول العمل الأدبي تبعًا لتباين الأذواق والميول الشخصية، والنقد يعتمد في حكمه على ذوق الناقد وقدرته على تقدير الجمال والحسن في العمل الأدبي، ولا يخفى أن الآراء والمواقف حول النص الأدبي الواحد تتعدد بتعدد الأذواق وزوايا النظر إليه، لذا قال الآمدي "إن كنت ممن يفضل فلسفي الكلام... فأبو تمام أشعر عندك لا محالة "[٢١]، وقال الجرجاني: "فإن توسعت... وملت... فهو باب يضيق مجال الحجة فيه"[٢٢]، وأشار عبدالقاهر إلى "أن المعول في فهم النص على الذوق والإحساس الروحاني وما يعرض في نفس السامع من الأريحية، فإن لم يجدها فليس القول والشرح بمغنى عنه، وهذا يشير الى وعيهم بمسألة الذوق والطبع وعلو شأنهما وخاصة إذا كان ذوق عالم خبير بالأدب مطلع على أساليبه متمرس بها صاحب معرفة وثقافة تعينه على إدراك جمال العمل الأدبي وإصدار الأحكام الصحيحة عليه[٢٣]،وقد أطلق المعاصرون على هذا النوع من النقد مصطلح، النقد الانطباعي، أو الذاتي، أو التأثري أو الذوقي، والمقصود به كل نقد تتحكم فيه الدوافع الذاتية والميول الشخصية المنبعثة من النفس والعواطف، ولايزال – كما قال مندور – قائمًا وضروريًا وهو الأساس في كل نقد سليم، إذ لا يمكن إدراك الجمالية في الشعر بالتحليل الموضوعي وحده دون الاعتماد على الذوق الشخصي المدرب " فالشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه بالقبول والطلاوة ويقربه منها الذوق والحلاوة،وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا ولا يكون مقبولًا"[٢٤]؛ فالذوق الشخصي والرأي الذاتي مطلب مهم في كل عمل نقدي، إذ لا يمكن تجريد الناقد من ذوقه الخاص واستجابته الذاتية في أثناء القراءة النقدية شريطة أن يتبرأ من التحامل واتباع الهوى وأن يتوخى الحق والعدل والصواب، وإلا فسد عمله وكان عرضة لسهام النقاد من بعده، وقد غلب هذا النوع من النقد على نقد الشعر في مراحله الأولى منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية عصر بني أمية قبل أن يبدأ الانعتاق من الانطباعية المحضة ويأخذ في تعقب الأخطاء والهنات التي وقع فيها

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

بعض الشعراء في النحو واللغة والعروض وفق قواعد مستنبطة وأصول مقررة كالذي نجده عند اللغويين والنحاة من علماء القرن الثاني الهجري، ثم تحوله فيما بعد إلى نقد منهجي يقوم على أسس علمية وموضوعية ويستند إلى أصول فكرية وفلسفية على أيدي كبار النقاد أمثال ابن سلام، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن طباطبا، والجرجاني، وابن رشيق وغيرهم.

ولا شك أن الأحكام النقدية لا يمكن أن تكون صحيحة إلا إذا كانت مزيجًا من الموضوعية والذاتية المنسجمة بين الذوق والمعيار والمعرفة التي تجعل الآراء سليمة ذات قيمة قابلة للانتفاع[٢٥]،فالنقد الانطباعي يعبر عن مدى استجابة الناقد للعمل الأدبي وانفعاله به،وهو مرحلة أولى في النقد يجب أن يمر بها قبل المرحلة الموضوعية التي لا يمكن انكار وجودها في نقد الشعر، وسنعرض فيما يلي لأبرز النماذج والشواهد التي برزت فيها روح النقد الانطباعي في نقد شعر هذه الفترة.

ملامح الانطباعية في نقد العصر الجاهلي:

يقصد بالأدب الجاهلي في اصطلاح مؤرخي الأدب كل ما أنتج من شعر ونثر في الفترة التي سبقت مجيء الإسلام بقرن ونصف أو قرنين من الزمن اعتمادًا على ما قرره الجاحظ من أن" الشعر العربي حديث الميلاد صغير السن، وأن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة، وإننا إذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام"[٢٦].

ولابد أن الجاحظ كان يقصد القصائد الطوال أما المقطعات والأبيات القليلة التي يقدمها الرجل بين يدي حاجته فقد كانت قبل امرئ القيس بزمن، لأن امرأ القيس نفسه كان يتكئ في بعض شعره على من سبقه من الشعراء كابن حذام الطائي وأبي دؤاد الإيادي، وإنما سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب فاتبعته الشعراء فيها، أما البداية الأولى للشعر فلا يعرف على وجه التحقيق زمن محدد لها. وقد ذكر ابن سلام أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته وإنما طوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ثم قال وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل[٢٧].

ولا شك أن الشعر قد بدأ حداءً ثم رجزًا ثم طوّلت القصائد لتتسع لكل ما يرغب العربي في تسجيله في قصيدته، فالشعر فن العرب الأول وبضاعتهم المفضلة وديوان علومهم لكنهم تشاغلوا عنه بعد أن استقروا في الأمصار فحفظوا أقله وذهب عنهم أكثره، يقول أبو عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولا جاءكم وافرًا لجاءكم علمٌ وشعر كثير"[٢٨]، لكنّ هذا القليل الذي وصل إلينا يمثل مرحلة متقدمة من مراحل

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تطور الشعر العربي القديم تظهر فيها أبرز ملامح النضج والاتقان، وتمثل مرحلة استقرار القصيدة على نسق واحد من البناء والموضوعات مرحلة النضوج الفني لنظام القصيدة العربية واكتمال نموذجها وأصبح لزامًا على الشاعر أن يترسم منهج القصيدة وأن يراعي التقاليد في اتقانها وعدم الإخلال بشيء من بنائها ونسقها العام توخيًا لذائقة الجمهور وحذرًا من مواجهته في حال حدوث أي خلل أو قصور أو انحراف عن الأسلوب الفني المتبع في المعاني أو الصيغ الثابتة التي دار فيها الشعراء قبله لذا قال زهير:

ما أرانا نقول إلا معارًا أو معادًا من لفظنا مكرورا [٢٩]

إن وجود أدب سابق بهذه المرتبة العالية من الابداع يقتضي من الشاعر أن يتدارك أي نقص أو خلل في قصيدته فيصلحه قبل أن يذيعها في الناس، ولا شك أن تنبه الشاعر إلى الخطأ في قصيدته وإصلاحه، وإعادة النظر في أعطاف قصيدته وتهذيبها وتلافي أسباب النقص والقصور فيها كان خطوة أولى في طريق النقد الذاتي، وهي وإن كانت حلقة مفقودة في حياة النقد إلا أننا نراها في شعر الشعراء أنفسهم وقد اعترفوا بها في قصائدهم، يقول كعب:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول
يثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كلَ ما يتمثل [٣٠]

ونجد امرأ القيس نفسه يقوم بعملية اختيار وفرز لأبيات قصائده فيتخير الأبيات الجيدة ويعزل الرديئة قال:

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام جريء جوادا
فأعزل مرجانها جانبًا وآخذ من درّها المستجادا

وقد علق ابن رشيق على فعله هذا فقال: " فإذا كان أشعر الشعراء يصنع هكذا ويحكيه عن نفسه فكيف ينبغي لغيره أن يصنع"[٣١]. ولا عجب من ذلك إذا كان الشاعر يحرص على أن يصل بقصديته إلى مرحلة النضج والاكتمال، فالشعر يحتاج إلى جهد أولي بعد لحظة الإبداع لكن لا يكون هذا الجهد مبالغًا فيه فيخرج الشاعر من مذاهب الشعراء المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوًا رهوًا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً[٣٢] ويدخل في مذهب الصنعة الذي عابه الأصمعي على الحطيئة عندما وجد شعره كله متميزًا منتخبًا مستويًا لمكان الصنعة فيه.[٣٣] ونشأ عن هذا النقد الذاتي الذي يمارسه الشاعر بطبعه وإحساسه الخاص على شعره نقد آخر يمارسه الشاعر على أشعار الآخرين وقد كان لكل شاعر راوية يلازمه ويحفظ شعره ويرويه ويتولى إذاعته في الناس والدفاع عنه، فوجدت طبقة من الشعراء احترفت الرواية وجعلتها الأداة الطيعة لنشر الشعر وذيوعه، ولا يقف الأمر

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

عند حد الرواية بل إن الشاعر المبتدئ يتعلم من هذه الرواية أسرار الشعر ويتدرب على معرفة مواطن الجودة والرداءة في الشعر، وقد ينبه على بعض العيوب أو يجري بعض التعديلات إذا انطبع ذوقه وبلغ درجة عالية في معرفة الشعر وروايته.

ثم يأتي في المرتبة الثالثة من إرهاصت النقد الانطباعي في هذا العصر الجمهور الأدبي المتذوق للشعر الذي يتمثل في طائفة الحكماء وأهل البلاغة والفصاحة من قبائل العرب، وقد ذكر صاحب الأغاني أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منها كان مقبولًا وما ردوا منها كان مردودًا وقد قدم عليهم علقمة فأنشدهم " هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟" فقالوا هذه سمط الدهر[٣٤]. وقد كان الأعشى يجوب أحياء العرب وقبائلها يتغنى بشعره، ولا ريب " في أن من كانوا يستمعون إليه كانوا يستعيدون ما ينشده مراراً، وأنهم كانوا يطلبون منه المزيد وأنهم كانوا إذا رحل يتحدثون عنه وعن شعره فيتعصب بعضهم له ويتعصب بعضهم عليه مؤثرًا شعراء قبيلته"[٣٥] وكذلك كان حالهم في اللقاءات الأدبية وفي الأسواق فسماعهم الشعر وتذوقهم له يفضي إلى نوع من الاهتمام به فيكون المدح أو القدح أو الانتخاب أو خلع الألقاب على القصيدة أو الشاعر في عبارات انطباعية موجزة وأحكام ذاتية سريعة خاطفة ليس فيها تأمل ولا تدبر وإنما أملتها الفطرة وطبيعة الحياة البسيطة آنذاك، وهذا نوع من النقد الانطباعي والحكم العام على الشعر، ينبغي أن يشار إليه ضمن إطاره الزماني والمكاني الباكر دون مبالغة، أو إسقاط أحكام آنية عليه لا تتناسب مع طبيعة المرحلة وروح العصر الذي نشأ فيه، إنه نقد تأثري يتسم بالارتجال ويقوم على الذوق الفطري وليس فيه شيء مبني على التحليل والنظرة الفاحصة المدعمة بالدليل، لأن طبيعة العصر وظروفه لا تحتمل التعليل أو التفسير، فهو كما يقول طه إبراهيم " نقد ناشيء قائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس... والحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفاً.. فالعربي يحس بالشعر إحساسًا فطريًا لا تعقد فيه ويتذوقه جبلة وطبعًا عماده في ذلك طبعه وذوقه وسليقته ليست لديه أصول ولا قواعد ولا مقاييس يحتكم إليها ويأنس بها"[٣٦]، لذلك أنكر عدد من النقاد أن يكون في هذه الفترة نقد بالمعنى الاصطلاحي لكلمة نقد، وذلك لافتقاره إلى المنهج الذي لا يكون إلا لمن نما تفكيره واستطاع أن يخضع ذوقه لنظر العقل، ولافتقاره إلى التعليل الذي يستند إلى مبادئ عامة من العلوم اللغوية التي لم تكن متوافرة للناقد في ذلك العصر، ولاعتماد الأدب نفسه على الشفهية التي تحول دون التأمل والعلم وتدقيق النظر،[٣٧] فكان من الطبيعي أن يكون نقد هذه المرحلة نقدًا فطريًا بسيطًا قائمًا على الانفعال والتأثر التلقائي المباشر.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولقد روت لنا المصادر القديمة عددًا من المرويات والحكايات النقدية التي نسبت إلى هذا العصر أحاط الشك بأكثرها، ولم يسلّم عدد من النقاد القدماء والمحدثين بصحتها نظرًا لما لحقها من الوضع والتزيّد والانتحال،ولأنها كما قال التبريزي: "تدق عن ذوق العصر الجاهلي "، ولولا ارتباطها بشعراء كبار أمثال امرئ القيس والنابغة وحسان وطرفة وعلقمة ونحوهم لما ذاعت وانتشرت ولربما أهملت أو ضاعت فيما ضاع من تراث العصر الجاهلي، وسنورد بعض النماذج والمشاهد من هذه المرويات بالقدر الذي يطلعنا على حقيقة ما جاء فيها من أحكام نقدية غير معللة سواء أكانت جزئية أو عامة، تتعلق بالشعر أو بالحكم على الشاعر والتنويه بمكانته.

الموازنة الشعرية:

روى صاحب الموشح أن امرأ القيس وعلقمة تنازعا في الشعر: أيهما أشعر وحكّما بينهما أم جندب زوج امرئ القيس، فقالت: قولا شعرًا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد، فأنشداها جميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درّة ... وللزجر منه وقع أخرجَ مهذب

فأجهدت فرسك بسوطك وأتعبته بساقك. وقال علقمة:

فأدركهن ثانيًا من عنانه ... يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب

فأدرك فرسه ثانيًا من عنانه ولم يضربه ولم يتعبه[٣٨].

وقد شكك النقاد قديمًا وحديثًا في صحة هذه القصة، فابن المعتز لم يطمئن إلى هذه الرواية وأنكر قصيدة امرئ القيس التي وردت فيها هذه القصة واقتدى به كثيرون في إنكارها، وتردد ابن رشيق في قبولها رغم وجودها لدى عدد من النقاد الثقات بروايات مختلفة، وطعن في صحتها عدد من النقاد المحدثين منهم طه حسين، وطه إبراهيم، وأحمد أمين، وطه الحاجري وغيرهم، وعللوا ذلك بأنه من المستبعد أن يتحاكم شاعران فحلان إلى من لم يشتهر بالتفوق في الشعر والحكمة، وأن القصة جعلت من أم جندب ناقدة موضوعية حين وضعت قواعد للموازنة باشتراطها وحدة الموضوع والوزن والقافية. وهذا ليس من صفات العصر ولا من معارفه، ثم إن امرأ القيس كان مجمعًا على تقدمه وتفوقه في وصف الخيل بما يحقق له الغلبة في هذا الموضوع على أي شاعر ينازعه فيه. وهذه كلها أسباب موضوعية ومنطقية ترتكز على ما أحاط بالقصة من ملابسات تدعم الشك في صحتها وقد أحصى أحد الباحثين عددًا من الأدلة الموضوعية والتاريخية ما يرى أنها تطعن في القصة طعنًا يكاد يستحيل معه ألا تكون هذه القصة مصنوعة[٣٩]. ولقد أسهم الارتكان إلى

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الموضوعية في نقد أم جندب وخلوه من ملامح الانطباعية في إنكار هذه القصة النقدية وعدم التسليم بصحتها.

نقد الألفاظ:

روى المرزباني أن المسيب بن علس مرّ على قوم فأنشدهم فلما بلغ قوله:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة: "استنوق الجمل"؛ لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير، وهذا البيت قريب من قول طرفة في وصف الناقة في معلقته:

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

وقد نسب هذا البيت إلى المتلمس خال طرفة ونسب إلى آخرين غيره[٤٠].

والقصة يتنازعها الانكار والإثبات كذلك فبعض النقاد يشك في ثبوتها وقد رواها بعض النقاد القدماء بصيغ تدل على ضعفها[٤١]، وهي عند بعض النقاد المحدثين غير جديرة بالثقة لما فيها من الصنعة والخلاف حول دلالة لفظ " الصيعرية " ولأن الشعراء إنما يخطئون فيما يدق من المعاني أو يكون لهم فيه اعتبار لا يسلّم لهم به لا في الامور البديهية التي لا تخفى على أحد[٤٢]، وإذا صحت القصة فإن طبع طرفة قد نفر من وصف الذكر بما لا يصح إلا للأنثى فجاء نقده سريعًا خاطفًا مشوبًا بشيء من السخرية والتهكم دون إفصاح عن الجزئية المقصودة بالنقد اعتمادًا على الذوق العام عند عامة أهل المعرفة بطبيعة الشعر.

ومن نقد الألفاظ نقد النابغة لحسان بن ثابت عندما أنشده قوله:

لنا الجفنات الغرُ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالًا واكرم بنا ابنما

فقال له: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك[٤٣]. ولعل النابغة قصد أن حسان بن ثابت قد خالف ما كان ينبغي في موضع الفخر، فترك الجفان والبيض والجريان واستعمل في بيته كلمات غيرها أفخر منها معنى وأوسع مفهومًا وكذلك خالف ما كان سائدًا في الجاهلية من الفخر بالآباء لا بالأبناء وقد أنكر طه إبراهيم هذه القصة وقال: إن فيها ما لا يستطيع باحث جاد أن يؤمن به، وأن كل ما فيها تأباه طبيعة الأشياء ويرفض رفضًا علميًا من وجوه منها:

- أن الجاهلي لم يكن له ذهن علمي يفرق بين جموع الكثرة وجموع القلة كما يفرق بينها العلماء.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

• أن هذه الروح لا أثر لها في نقدهم للقرآن الذي تحداهم وأفحمهم، كما أن في هذه القصة شيء من الأثر المنطقي والدرس البلاغي الذي لم يظهر إلا في أواخر القرن الثالث.

• أن من نحاة القرن الرابع من لم يطمئن إلى هذه القصة، فأبو الفتح ابن جني يحكي عن أبي علي الفارسي أنه طعن في صحة هذه الحكاية لذلك كان بعيدًا كل البعد أن توجد ملكة في الفكر النقدي الجاهلي على هذا النحو من التدقيق والتفريق بين الصيغ والاشتقاقات[٤٤].

وقد اعترض على هذا الانتقاد بأن العرب وإن لم تكن تعرف هذه الاصطلاحات العلمية فإنها كانت تعرف مدلولاتها، فهم بطبعهم وحسهم اللغوي يفرقون بين الكلمات الدالة على القلة والكثرة لأنهم كانوا ينطقون بها على السليقة[٤٥] فطبعه وذوقه السليم هو الذي هداه إلى اكتشاف ما وقع في شعر حسان من الخلل والأمر يرتد إلى الذاتية الناقدة ولا علاقة لها بالعلمية وما نشأ عنها من مصطلحات.

المفاضلة بين الشعراء:

المفاضلة بين الشعراء من أبرز ما في نقد العصر الجاهلي، من ذلك ما كان من تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي لدى ربيعة بن حذار الأسدي، أيهم أشعر، فقال ربيعة للزبرقان: "أما أنت، فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فيؤكل، ولا هو ترك نيئًا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو، فشعرك كبرود حبر، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبّل فإن شعرك قصّر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر"[٤٦] وقد رويت القصة بأوجه متباينة لم تتفق فيها على أسماء الشعراء ولا على من حكم بينهم ولا على الزمن الذي حدثت فيه فمرة يكون من حكم بينهم ربيعة الأسدي ومرة عبدة بن الطبيب وثالثة أول رجل يطلع عليهم، ويزيد عدد الشعراء فيها وينقص ونسبت القصة إلى ما قبل الإسلام وإلى ما بعده[٤٧].

وإذا صحت الرواية فإنها تعد نوعًا من أنواع النقد الانطباعي العام لشعر الشاعر من حيث القوة والضعف وحسن الترابط وقد عد إحسان عباس هذا النموذج من أرقى الأمثلة وأشدها دلالة على طبيعة النقد في هذا العصر، فهو نموذج يجمع بين النظرة التركيبية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي دون اللجوء إلى التحليل[٤٨]، وهو صورة من نقد نظم الكلام والحكم على أسلوب الشاعر بأنه محكم أو غير محكم ومقبول أو غير مقبول إذ يلاحظ أن الآراء على وجازتها وقلة التفصيل فيها وصفت أنماط النظم عند هؤلاء الشعراء بأن منها ما يجمع بين الجودة والرداءة ومنها ما هو متين النظم متلاحم الأجزاء، ومنها ما

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

يفتقر إلى القوة والجزالة ومنها ما هو بين بين في صياغته ونظمه وعلى الرغم من ذلك فإنها أحكام عامة يلفها الغموض ولا تخرج عن طبيعة نقد العصر الذي يخلو من أي تحليل أو تعليل.

ويتصل بهذا النوع من المفاضلة مشهد النابغة في سوق عكاظ حيث أنشده الأعشى مرة:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي فهل ترد سؤالي

ثم أنشده حسان بن ثابت:

ألم تسأل الربع الجديد التكلما بمدفع أشداخ فبرقة أظلما

ثم أنشده الشعراء من بعدهما، ثم جاءت الخنساء فأنشدته قصيدتها في رثاء أخيها صخر:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فأعجب بشعرها، وقال لها: لولا أن أبا بصير – يعني الأعشى – أنشدني لقلت إنك أشعر الجنّ والإنس، فالأعشى أشعر الذين أنشدوه، تليه الخنساء، ثم الشعراء بعدها، وحُكم النابغة حكم انطباعي مجمل لا يستند إلى علة فنية أو موضوعية يفسرها لنا، وإنما اعتمد على ذوقه الفطري الخاص الذي أعانه على إدارك مواطن القوة ومواضع الفخر والقيادة التي تضمنها بيت الخنساء، لكنه لم يفصح عنها ولم يسأله الجمهور عن سبب تفضيله لشعرها على بقية الشعراء ثقةً منه في ذوق الجمهور وثقة من الجمهور في ذوق الشاعر وحكمه نظراً لمكانته وعلو منزلته في الشعر وصحة طبعه وسلامة ذوقه.

النقد العروضي:

ومن نقدهم الفطري ما رصدوه من اختلال في نغم القصيدة، فالعربي يعتد بحسه الموسيقي ويعول على طبعه وحاسة السمع عنده في اكتشاف أخطاء الوزن والقافية، ومما فطن له عدم انسجام حركة القوافي وتماثلها في الشعر وكانوا يسمونه اختلال صنعة الشعر أو العاهة، واصطلح على تسميته عروضيًا بالإقواء وهو اختلال حركة الروي في بعض أبيات القصيدة كأن تكون القصيدة مخفوضة ويأتي روي بعض أبياتها مضمومًا أو مفتوحاً، وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال كان فحلان من الشعراء يقويان النابغة وبشر بن أبي خازم[٤٩] وذكر ابن سلام أنه لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين وهما قوله:

أمـن آل ميـة رائـح أو مغتـدي عجـلان ذا زادٍ وغيـر مـزودِ

زعم البوارح أن رحلتنا غدًا ويذاك خبرنا الغراب الأسوَدُ

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:

سـقط النصـيف ولـم تـرد إسـقاطه فتناولتـــــه واتقتنـــــا باليـــــدِ
بمخضب رخص كـأن بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يعقدُ

فلما قدم المدينة عيب عليه ذلك فلم يأبه له حتى اسمعوه إياه في غناء ففطن لموضع الخطأ ولم يَعُدْ فيه، قال قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[٥٠].

وأما بشر بن أبي خازم فجاء الإقواء في قوله:

ألـم تـر أن طـول الـدهر يسـلي وينسـي مثـل مـا نُسـيت جُـذامُ
وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشآمي

فقال له أخوه: أكفأت وأسأت: قال وما ذاك؟ قال قلت(كما نسيت جذامُ) (ثم قلت): (إلى البلد الشآمي) فقال: قد تبينت خطئي ولست بعائد.

وعلى الرغم من أن قصيدة النابغة قد رويت عن أعلام البصرة الثقات أمثال الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن سلام الجمحي فإن عددًا من النقاد قد شككوا في صحة قصة إقواء النابغة هذه، بل في صحة نسبة القصيدة برمتها إليه، ومعتمدهم في ذلك أن الأصمعي رغم اعترافه بأن القصيدة هي للنابغة حقًا إلا أنه قال " ليس عندي فيها إسناد"[٥١]، وأن خلفًا الأحمر ادّعى في بعض أقواله أنه وضع هذه القصيدة على النابغة[٥٢] وقد رفض طه حسين قصيدة المتجردة كاملة ولم يقبل منها إلا الأبيات الثلاثة الأولى كان الإقواء في البيت الثاني منها[٥٣].

ويظهر أن السبب وراء ظهور الإقواء في شعر بعض كبار الشعراء الفحول الجاهليين كالنابغة ناقد الشعراء أن بعض العرب كما ذكر ابن رشيق كانوا ينشدون أشعارهم ويقطعون حركة القافية فلا يظهرونها، ويقفون على الروي ساكنًا وعد هذا أثرًا من آثار طفولة الشعر العربي ودليلًا على أن الشاعر القديم لم يهتد مرة واحدة إلى وحدة الوزن والروي، وذهب بعضهم إلى أن العرب كانت لا تعد الإقواء عيباً، وقد تكلمت به كثيرًا وهم لا يستنكرونه إذا ورد في أشعارهم لأنه لا ينكسر به الشعر، لأنهم يعدون كل بيت من أبيات القصيدة مستقلًا بنفسه.

نقد المعنى:

ومما تنبه له القدماء بفضل ما يملكون من ذوق سليم وحس مرهف اكتشافهم ما وقع من الزلل والخطأ في المعاني وعدم اللياقة والمبالغات غير المقبولة التي وردت في بعض أشعارهم، فالأعشى وهو من شعراء الطبقة الأولى أخطأ في قوله:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

نبئـــت قيسًـــا ولـــم أبْلُـــه كمـــا زعمـــوا خيـــر أهـــل الـــيمن

فجئتك مرتادًا ما خبروا ولولا الذي خبروا لـم تَرَنِ

لأنه خالف الطبع والعرف الاجتماعي والذوق العام لدى العرب في مخاطبة الممدوحين فعدم اختباره للمدوح أضعف تصوره للحكم ولأن الزعم أخو الكذب ومطيته، وعابوا على طرفة تقصيره عن مبدأ اللياقة المتعارف عليه حين مدح قومه بأنهم:

فإذا شربوها وانتشوا وهبوا كل أمون وطمر

لأن العربي لا يعد العطاء عند ذهاب العقل بالخمر كرمًا أصيلاً.

كذلك عابوا على الشماخ مخالفته للعرف السائد في الوفاء حين خاطب ناقته وكافأها بالإساءة إليها بعد أن أحسنت إليه فقال:

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

فإن إشراقها بدم الوتين "ذبحها" أسوأ مكافأة لها على ما قدمته إليه من معروف حين أوصلته إلى غايته المنشودة "عرابة الممدوح "[٥٤].

والعربي ينفر طبعه من المبالغة الشديدة الفجة التي تخرج عن دائرة المقبول عرفًا وعقلًا وعادة، ويعدها كذبًا وضربًا من المحال والتزيّد لذلك عدوا قول المهلهل:

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

من الكذب، لأن بين (حجر) وهي قصبة باليمامة وبين مكان الموقعة مسافة عشرة أيام، وهذا التهويل في التصوير لم يألفه الخيال العربي، وعده من الغلو المخالف للذوق العربي وطبيعته المعهودة في نظم الكلام.

لقد اتضح بشكل جلي من هذه المرويات والحكايات النقدية أن النقد في هذا العصر كان نقدًا تأثريًا انطباعيًا قوامه الذوق الفطري والعاطفة فجاء في شكل عبارات موجزة ولمحات خاطفة ونظرات شخصية تتسم بالارتجال في أغلب الأحيان، كالذي رأيناه في نقد طرفة ونقد النابغة، وموازنة أم جندب، وأن أحكام نقد هذا العصر قد اتصفت بالتعميم المجرد من ذكر العلل والأسباب التي سوغت إطلاق مثل هذه الأحكام الموجزة، وقد علل قوم إيثارهم للإيجاز في مثل هذه المواقف وعدم التعليل لما يصدرون من أحكام، بأنهم كانوا يتوجهون بأحكامهم النقدية هذه إلى قوم يتكلمون العربية سليقة ويعرفون بلاغتها، فلم يكن من المناسب أن يقفوا منهم موقف المعلم المفسر[٥٥]، فاعتمدوا على ما عندهم من ذوق وإحساس دقيق بطبيعة اللغة وأساليبها فاكتفوا بالإجمال عن التفصيل وبالإيجاز عن الاطناب حتى بلغ حدًّا – في بعض المواضع لا يكاد يفصح فيه الناقد عن موطن الحسن أو القبح وإنما يطلق رأيًا مجردًا على القصيدة أو الشاعر، أو على شعره بعامة كقولهم هذه سمط

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الدهر، أو اليتيمة أو البتارة، أو المعلقات، أوقولهم عن الشاعر، أشعر الناس، أو أشعر الجن والإنس، أو أشعر شعرائكم، أو نحو ذلك، أو وصفهم عامة شعر الشاعر بأنه، برود يمنية، أو بأنه لحم لم ينضح أو جزور، أو مزادة أحكم خرزها، أو نحو ذلك من الأقوال العامة التي اطلقوها دون تعليل ولا تحليل، ولا تقوم على قواعد فنية أو معايير موضوعية وإنما هي استجابة طبيعية وانفعال تلقائي بما أحسوا به من أثر الشعر، ذلك لأن الفكر الذي يبعث على الدراسة والتحليل والتأمل لم يكن موجودًا بعد وسيمر وقت طويل حتى تقرر الأصول والقواعد وتعلل الأحكام، فإن أهل هذا العصر وإن شغفوا بالشعر وأطالوا الوقوف عنده وأدمنوا النظر فيه، وانتقدوا كل ما خالف طبيعة نظم الشعر العربي من ألفاظ ومعان وأوزان وأساليب، فإن الذوق الفطري والانطباع التلقائي ما زال هو المتحكم في رؤيتهم النقدية، والتفكير البدائي هو السائد في طبعهم فجاء نقدهم ملائمًا لروح العصر الجاهلي ومتوافقًا مع مجتمعه وبيئته.

ملامح الانطباعية في نقد العصر الإسلامي:

نزل القرآن الكريم والعرب في غاية بلاغتهم وفصاحتهم فاندهشوا من نظمه ووقفوا إزاءه حيارى لا يقدرون على معارضته ولا مجاراته واضطرب عليهم أمره فوصفوه بالشعر والسحر والكهانة،قالتعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ. قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، ووصفوا الرسول ﷺ بالشاعر فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾. وليس في هذا ذمٌّ للشعر أو حطٌّ من قيمته وشأنه، وإنما هو تنزيه للقرآن الكريم عن كلام البشر وعلو مرتبته عمَّا توهموه فيه من الشعر والسجع وسحر الأقاويل المموهة، وتأكيد على حقيقة الرسالة المحمدية وصدق المصطفى ﷺ يقول عبد القاهر في قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ إن تنزيه الرسول الكريم عن قول الشعر إنما يشبه سبيل الخط حيث جعل الله محمدًا لا يقرأ ولا يكتب لم يكن تنزيه كراهة، وانما لتكون الحجة أبهر وأقهر، والدلالة أقوى وأظهر وأردّ لطالب الشبهة وأمنع من ارتفاع الريبة، ولو أن كون النبى ﷺ غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضًا من الكتابة، والشعر فى حدّ ذاته ليس عيبًا لكن نفيه عن الرسول وعن القرآن الذي أثر فى النفوس[٥٦] تأكيد على أن ما جاء به محمد ﷺ ليس بشعر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [٥٧]،﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{٢٢٦} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ{٢٢٧}﴾[٥٨]. والشعراء يكثر عند بعضهم الكذب وينتشر في أقوالهم اللغو والمبالغات ومنهم من يتجاوز الحق والعدل ويعدل

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

عن الصواب وربما أفحش بعضهم فى القول والرسول ﷺ منزه عن ذلك كله؛ فهو لا يقول إلا حقًا ولا ينطق إلا صدقًا ولا يفعل إلا عدلًا.

واستدل بعض الباحثين بما ورد من تأويلات في هذه الآية على أن الشعر في عصر صدر الإسلام قد ضعف وخبت جذوته، حيث فهموا من هذه الآية "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" أنها تذم الشعر والشعراء فتحرج كثير من رواة المسلمين وشعرائهم من قول الشعر وروايته، وقد رد عبد القاهر هذه الشبهة فقال: "وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى "والشعراء يتبعهم الغاوون" فما أرى عاقلًا يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة، وما يختص به من أدب وحكمة، ذاك لأنه يلزم على قول هذا القول أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وفي غريبه وغريب الحديث، وكذلك يلزم أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي ﷺ بالشعر وإصغائه إليه واستحسانه له"[٥٩]. فالاحتجاج بهذه الآية على وجه تعميم الذم غلط وسوء تأويل كما ذكر ابن رشيق[٦٠].

وقد أضاف القائلون بضعف حركة الشعر في الإسلام إلى حججهم بعض ما نسب إلى الأصمعي وابن سلام وابن خلدون من مقولات مثل أن الشعر إذا أدخلته باب الخير لان، وأن العرب تشاغلت بالجهاد ولهت عن الشعر وروايته وانصرفت عنه، ويدحض هذا كثرة ما كان من شعر في الخصومة بين شعراء المسلمين من جهة وشعراء المشركين من جهة ثانية، وكثرة شعر الوفود الذين يفدون على الرسول ﷺ، وزعم بعض المستشرقين أن الإسلام لم يحدث انقطاعًا في مفاهيم الشعراء وأنهم لم يستطيعوا أن يهجروا أسلوب الشعر الجاهلي وأن تأثيره كان محدودًا في بعض شعراء المدينة، أما شعراء البادية فهم امتداد للشعر الجاهلي[٦١]. وهذا خلط منهم بين موقف الإسلام من الشعر ونفي الشاعرية عن القرآن والرسول ﷺ، واعتبار أن الشعر الإسلامي هو شعر المواعظ والحكم لا غير، دون النظر إلى أثر الإسلام والقرآن في لغة الشعر وموضوعاته وأساليبه.

أما ليونة الشعر فترتد إلى مقولة الأصمعي "الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير لان، هذا شعر حسان فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره"[٦٢] وهذا الوصف قد يصح على ما نسب إلى حسان من شعر ولم يقله حقاً، أما شعره الحق فلا يصدق عليه هذا الوصف، وقد اختلط الأمر على الرواة في شعر حسان فنسبوا إليه شعرًا كثيرًا لم يقله ولم يصح عنه بل وضعه آخرون لأسباب مختلفة، يقول شوقي ضيف "والحق أن شعر حسان الإسلامي كثر الوضع فيه، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة، لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام كما يزعم الأصمعي

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولكن لأنه دخل كثير من الوضع والانتحال"[٦٣] والخير والشر مضامين محايدة لا تستحيل إلى واقع فني في حد ذاتها وإنما الشاعر هو الذي يصنع من موضوعاتها شعرًا قويًا أو شعرًا لينًا ركيكاً[٦٤]. ولو كان الأمر كما ذكر الأصمعي يترتب عليه أن يكون كل شعر في مجال الشر قويًا وكل شعر في مجال الخير ضعيفًا وهذا لا يتفق مع واقع الشعر لا في القديم ولا في الحديث[٦٥]. واستنهاض الرسول ﷺ للشعراء واستعانته بهم في الدفاع عن الدعوة أمر مشهور وقد قامت طائفة من شعراء المسلمين بهذه المهمة وعلى رأسهم حسان بن ثابت شاعر الرسول وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وقد أثنى عليهم جميعاً، ويتضح موقف الرسول ﷺ من الشعر ومفهومه له مما أثر عنه من عبارات ومواقف عبر فيها عن صفة الشعر الذي يرتضيه، فالرسول ﷺ أفصح العرب ويعجبه الكلام الطيب الفصيح ويهتز لسماعه، من ذلك أنه عندما سمع شاعر وفد بني تميم وأعجبه حسن بيانه قال: "إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة"[٦٦] وأبدى رأيه في الشعر عامة فقال: "إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[٦٧] وقوله: "إنما الشعر كلام، ومن الكلام طيب وخبيث"[٦٨]. فالشعر جنس من كلام العرب يتميز بحسن التأليف والنظم والحكم عليه إنما يكون بموافقته للحق أو مخالفته له، فما كان طيبًا موافقًا للحق فهو الشعر الجيد الحسن وما كان خبيثًا منحرفًا عن الحق كان إلى طريق الجاهلية والضلال أقرب. وكان ﷺ قد أهدر دم كعب بن زهير لشعره السيء الذي هجا به الرسول ﷺ والإسلام، ثم لما تاب وأنشده قصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ | متيم إثرها لم يغد مكبولُ

عفا عنه وقبل توبته وكساه بردته ثوابًا له، وذكر الرواة أن الرسول ﷺ صَوَّبَ له قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به | مهند من سيوف الهند مسلولُ

بما يتوافق مع الحق والصواب وما يدعو إليه من دين صحيح فعدله إلى "مهند من سيوف الله مسلول"[٦٩].

وغيّر لفظة مكان أخرى في شعر كعب بن مالك حين أنشده قوله:

ألا هـل أتـى حسـان عنـا وعـنـهم | من الأرض خرق غوله مقتنع مذربه

مجالدُنا عَنْ جذمنا كُلُّ فَخْمَةٍ كل فخمة | فيـها مُذَرَّبةٍ فيها القَوَانِسُ تَلْمَعُ

فقال الرسول ﷺ "مجلدنا عن ديننا" ليتوافق البيت مع مبادئ الإسلام، ويتحول معناه من الفخر بالقبيلة إلى الفخر بالإسلام ودين الحق الذي جاء به محمد ﷺ[٧٠].

فأنشده النابغة الجعدي:

بلغنا السماء مجدنا وجـدودنـا | وإنا لنرجو فوق ذلك مظهـرا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال رسول الله ﷺ: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة، فقال الرسول ﷺ إن شاء الله.

فموافقة الحق والدين ومبادئ الإسلام وما أظهره النابغة في شعره وما انطوى عليه قوله من حكمة بليغة وهدف سام هو ما جعل الرسول ﷺ يستحسن كلامه ويدعو له، وقد علّق ﷺ على قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكـــــل نعيم لا محالة زائـــل

بأنها "أصدق كلمة قالها شاعر"[٧١].

ويستحسن ﷺ القول الصواب حتى لو كان صادرًا من غير المسلم، سمع بيت طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخـــبار من لـم تزود

فقال هذا من كلام النبوة[٧٢]، فالرسول ﷺ يقوم الشعر ويوجهه ليتوافق مع ما يدعو إليه من الحق والدين، فكل شعر اتفق مع الدين كان قولًا حسنًا مقبولاً، وما خالفه كان لغوًا غويًّا مرفوضاً، هكذا كان منهجه وموقفه ﷺ من الشعر استحسان لكل شعر إسلامي صحيح يرضى عنه الإسلام وقبله الدين ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، واستهجان لكل شعر يعارض الإسلام ويخالف المنهج السليم ويدعو إلى الرذائل ويفسد على الناس أخلاقهم وأفكارهم ويضر بشؤون حياتهم.

وموقف الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – ورؤيتهم للشعر لا تخرج عما كان عليه المصطفى ﷺ فهم يتمثلون بالشعر ويدعون إلى روايته ويرتضون كل شعر حسن يشيد بالأخلاق ويحاربون كل شعر قبيح ويعاقبون على كل شعر دعا إلى رذيلة أو أساء إلى أحد من المسلمين، وكانت لهم في الشعر والشعراء آراء نقدية أخلاقية انطباعية دلت على فطرة خالصة وذوق سليم، وصف ابن رشيق عمر بن الخطاب بأنه "من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم معرفة فيه"[٧٣]. كتب مرة إلى واليه "مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على مكارم الأخلاق وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"[٧٤] فأحسن الشعر عنده ما دل على محاسن الأخلاق واشتمل على حكمة بليغة ورأي صحيح وحفظ أنساب الناس ومحامدهم، لذلك كان يرى أن من حسن صناعة المرء أن يتخذ من الشعر الجميل وسيلة لقضاء حاجته في جلب خير أو دفع ضر عن نفسه، قال: "خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته ليستميل بها الكريم، ويستعطف اللئيم"[٧٥]، وقال: "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر، يقدمها الرجل أمام حاجته"[٧٦] روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل فيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[٧٧] أليس هو الذي يقول:

إذا ابتدرتْ قيسُ بنُ عيلانَ غايةً مِنَ المجدِ مَن يَسبِقْ إليها يُسوَّدِ
سَبَقْتَ إليها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غَيرِ مُجَلَّدِ

وحكم عمر بن الخطاب ﷺ على شعر زهير حكم ينسجم مع ذوقه ونظرته الأخلاقية رغم ما يبدو فيها من موضوعية تعنى بصياغة الشعر من حيث ألفاظه وأساليبه ومعانيه، فحوشي الكلام هو اللفظ الغريب المستهجن الذي يتلعثم اللسان به، بينما ألفاظ زهير في رأي عمر مألوفة عذبة، وأسلوبه سلس واضح خال من التعقيد والمعاظلة التي تظهر في تعالق ألفاظ البيت الشعري وتداخلها تداخلًا شديدًا يسلمها إلى التوعر والتعقيد المعنوي، ثم يأتي إلى الجانب الأخلاقي في عنصر الصدق بعدم مدح الرجل إلا بما يكون فيه، وهذا المعيار الأخلاقي استمده عمر رضي الله عنه من الرسول ﷺ الذي لا يقبل إلا ما وافق الحق من الشعر.

فرؤيته النقدية في جانبها الموضوعي مبنية على موقفه الديني والأخلاقي من الشعر، ولعل قصته مع الحطيئة وموقفه من هجائه للزبرقان بن بدر ما يوضح موقفه النقدي بجلاء تجاه الفن الشعري وتوجيهه بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي وما يدعو إليه من خلق كريم في عدم التعريض بأحساب الناس وأنسابهم وقد كان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر فقصّر في إكرامه ولم يحمد جواره وتحول عنه إلى جوار بني بغيض الذين مدحهم بشعر تعرض فيه لهجاء الزبرقان منه قوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان إلى عمر وأنشده الأبيات، فقال: ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعمًا كاسيًا؟ قال إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، والخليفة عمر رضي الله عنه يعلم بما أوتي من سلامة ذوق ومعرفة وبصر بالشعر أن الحطيئة أقذع في هجائه له، ولكنه يبدي فهمًا مخالفًا رغبة في تخفيف حدة التوتر والنزاع بين شاعرين متخاصمين من رعيته، لذلك استدعى حسان بن ثابت وهو من فحول الشعراء المشهود لهم بالذكاء والفطنة فسأله فأقر حسان بشناعة هجاء الحطيئة للزبرقان فعاقبه عمر.

والموقف الآخر لعمر بن الخطاب من شعر الهجاء ومحاولة توجيهه توجيهًا يخفف من وقعه على المهجو ما كان من شكوى بني العجلان الشاعر النجاشي الذي هجاهم بقوله:

إذَا اللَّـهُ عَـادَى أَهْـلَ لُـؤْمٍ وَرِقَّـةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ بْنَ مُقْبِلِ
ومـا سمي العجـلان إلا لقيلهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقد حاول عمر أن يحول دلالة الأبيات من الذم إلى المدح لدرء الحد وتخفيف حدة النزاع فوظف فهمه وذوقه لتوجيه الشعر إلى غير دلالته المقصودة لدى الشاعر، لكن حسان بن ثابت عند سؤاله أقر بما وقع على بني العجلان من هجاء النجاشي [٧٨]، وقد علل الجاحظ على هذين الموقفين من الشعر بأن روى قول العائشي: " كان عمر بن الخطاب – رحمه الله – أعلم الناس بالشعر، ولكنه كان إذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني، وبين الحطيئة والزبرقان، كره أن يتعرض للشعراء، واستشهد للفريقين رجالًا مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظن من حكم ذلك الشاعر مقنعًا للفريقين، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليماً، فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا، ظنّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيره"[٧٩].

ومن نقد عمر الذوقي الانطباعي مفاضلته بين الشعراء، وقد مر بنا تفضيله زهير على الشعراء كافة بما في شعره من حكمة وتجربة ودعوة للخلق للرفيع والصدق في القول ثم فضّل النابغة في رواية أخرى وجعله أشعر غطفان أو أشعر العرب حينما سأل عن القائل:

فإنك كالليل الـــــذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

قالوا: النابغة، فقال عمر: هو أشعر العرب، وذكر ابن سلام أنه سأل وفد غطفان من الذي يقول:

حلفت فلم أتـــــرك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مـــــذهب

قالوا: النابغة، قال: هو أشعر شعرائكم[٨٠]. ويبدو أن عمر فضل النابغة إذا صحت الرواية بما لمس في أبياته من حسن الصياغة ودقة التصوير فبراعة التصوير وجودته وصدق ما فيه من عاطفة هي التي أثرت في نفس الممدوح وفي ذوق الناقد وهذا لا يتعارض مع تفضيله لزهير لأن الحكمين قاما على أساس من الأثر الوقتي والانفعال السريع بأبيات معينة في أحوال خاصة ولبواعث انطباعية مختلفة فجاء الحكم متغيرًا وبدا مناقضًا لسابقه مما جعل بعض الباحثين يذهب إلى أن القصة مكذوبة مصطنعة وإنما نسبت إلى عمر للتدليل على أن أهل الحجاز كانوا يقدمون زهيرًا والنابغة[٨١]. وقد جرت المفاضلة بينهما عند كثير من النقاد، فأبو عمر بن العلاء قدّم النابغة وأن زهيرًا لو ضرب أسفل قدميه مئة مرة على أن يقول مثل قول النابغة... ما قاله"[٨٢] وشعره عند الخليل "أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر"[٨٣] وجعله الأصمعي أول الفحول وأفضل الشعراء وأشعر الناس[٨٤]، ووصف شعره أبو عبيدة بمثل ما ذكره الأصمعي[٨٥]، وقال ابن سلام: "من احتج للنابغة كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام"[٨٦]. فإذا صح ما نسب إلى عمر من تفضيله هذين الشاعرين كان سابقًا بفطرته في إدراك تفوقهما وحذقهما في الصنعة الشعرية وهو إدراك

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

فطري انطباعي وليد اللحظة صادر عن التأثر الآني بالشعر دون تحليل ولا تعليل ولا يصح أن يوصف بأكثر من ذلك. فلا عمر ﷺ ولا غيره من الصحابة كان يتفرغ للشعر ونقده، وإنما هو استحسان لما يحسن من القول أو استهجان ورفض لما قُبح منه. فهم أولًا أهل فصاحة وبلاغة يدركون جمال القول الشعري ويتذوقونه فيشيدون به، وهم أهل طبع ينفر من كل قبيح ورديء من القول ويرفضونه ويعلنون أحكامهم فيه مباشرة وربما حاولوا أحيانًا توجيه بعض مفاهيمه أو ألفاظه بما يتفق مع ما يدعون إليه من أخلاق ومثل ولكن في شكل ومضات خاطفة وملحوظات سريعة دون أن يكون هناك أي تحليل أو تعليل أو استنباط. وهذا شيء طبيعي في مرحلة طغت عليها الفطرة والعفوية واعتمدت على التعميم والشفاهية والتعبير الانطباعي.

ملامح الانطباعية في نقد العصر الأموي:

تطور الأدب وازدهر الشعر في العصر الأموي وحفز الشعراء إلى مزيد من الإبداع والتنافس وبرزت عوامل ساعدت كثيرًا في رقي النقد وتطوره، من ذلك تنوع البيئات الشعرية وكثرة الشعراء وتنوع مذاهبهم الأدبية واختلاف منازعهم ومشاربهم، وشيوع اللقاءات الأدبية وانتشارها في مجالس الخلفاء والأمراء التي كانت أشبه بالمنتديات الأدبية، وما كان من اجتماع الشعراء في سوق المربد بالبصرة وكناسة في الكوفة، إضافة إلى عودة العصبية القبلية التي أشعل خلفاء بني أمية شرارتها فكثرت أشعار الفخر والحماسة والمديح والهجاء، وظهر فن النقائض بين فحول شعراء العصر جرير والفرزدق والأخطل، وكثر الكلام حول هذه الأشعار فنشط النقد واحتدمت المناقشات والأحكام الصادرة حول الشعر وكثرت الموازنات والمفاضلات بين الشعراء.

وقد ميز النقاد في هذا العصر بين ثلاث بيئات نقدية هي بيئة الحجاز وبيئة الشام والبيئة العراقية، ففي الحجاز برزت طائفة الذواقين وشعراء الغزل الذين غلب على طابعهم الذوق الفني ورقة الطبع ورهافة الحس ومن شعرائها عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن معمر، والأحوص، وابن قيس الرقيات، ومن نقادها ابن أبي عتيق، وسكينة بنت الحسين. وفي الشام حيث الخلافة والخلفاء كان اهتمامهم منصبًا على شعر المديح والموازنة بين شعرائه فأصبحت مجالس الخلفاء والأمراء عامرة بالشعر ونقده ورسم الاتجاهات الخاصة في مخاطبة الممدوحين من علية القوم وخاصتهم، وكان أبطالها غالبًا هم الخلفاء المتأدبون والشعراء والأدباء الذين حضروا هذه المنتديات واللقاءات. وفي العراق اقترب الشعر في موضوعاته وأسلوبه من أشعار القدماء وطغى عليه شعر الفخر والهجاء وغلب على نقده المفاضلات التي نتجت عن الصراع القائم بين شعراء النقائض، واصطبغ نقد هذه البيئة في

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

بعض جوانبه بالصبغة اللغوية والمسحة الثقافية ومراعاة الأصول الفنية في التعبير والتصوير[٨٧]، إلا أن مجمل ما صدر في هذا العصر من أحكام نقدية باستثناء ما صدر عن اللغويين إنما هي في الغالب أحكام ذوقية فطرية انطباعية صدرت عن سليقة وطبع، لا تبتعد عن روح النقد التي رأيناها في العصور السابقة عليها كثيرًا فالتعليل والتحليل والاستنباط في صورته المنهجية لا زالت غير موجودة والقواعد والمعايير لم تقر بعد ولم تكن هناك آراء نقدية ناضجة يمكن الاعتداد بها خارج المفهوم الانطباعي للنقد، وسنحاول من خلال عرض بعض النماذج والصور والمشاهد أن نتبين حقيقة ما كان عليه النقد في هذا العصر.

أ- قامت في الشام حركة نقدية في قصور الخلفاء ومجالسهم تعتمد على الذوق الفطري وتمثل طرائق العرب في التعبير واستلهام ما كان عندهم من أفكار ومعاني، وقد كان معاوية يقول "يجب على الرجل تعليم ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب، لأنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان"[٨٨]، وقد أمر بانتخاب عدد من القصائد لتعليم ابنه وكذلك فعل عبد الملك بن مروان وغيره من خلفاء بني أمية، ومن هذا المنطلق اتجه النقد إلى تأسيس فكرة تذوق الشعر وتقييمه على ضوء القيم الفنية الموروثة في الشعر القديم وبخاصة شعر المديح الذي كان سائدًا في هذه البيئة،وكان الخلفاء والأمراء يطالبون الشعراء باحتذاء النماذج القديمة فيه من حيث إجادة المعنى وإصابة الوصف ودقة التعبير عن الغرض المقصود، ومن أعمدة النقد في هذه البيئة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان صاحب ذوق مرهف وثقافة أدبية واسعة مكنته من تتبع كلام الشعراء والكشف عن مواطن الضعف والخطأ عندهم، فهو ينفذ غلى أعماق شعر المديح ويحاول أن يرسم للشعراء الطريقة المثلى في مخاطبة الممدوحين ويبين لهم الأسلوب الأسمى في اختيار المعاني والبعد عن الصور المكررة المبتذلة التي كثر دورانها على ألسنة الشعراء فيقول للشعراء: "تشبهوني مرة بالأسد ومرة بالبازي ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشعري:

ملـــوك ينزلـون بـــــكل ثغـر ... إذا مـا الهـام يـوم الـروع طـــارا
رزان فـــي الامـــور تـــرى علـــيهم ... مـن الشـيخ الشمـــــائل والنجـارا
نجوم يهتدى بهـــــم إذا ما ... أخو الظلماء في الغمرات حارا[٨٩]

فهو يفرق بفطنته بين المدح بأوصاف عامة تقليدية وبين المدح بالفضائل ومعالي الأمور وموروثات المجد والشرف، لذلك لم يقبل من ابن الرقيات قوله في مدحه له:

يعتدل التـــاج فوق مفرقه ... على جبين كأنـــه الذهـــب

فنهره، وقال: تقول لمصعب بن الزبير:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجـــهه الظــلماء

وتقولي لي: على جبين كأنه الذهب، تمدحني بالتاج كأني من العجم[٩٠]، فلم يقبل ذوقه العدول بالمدح عن الفضائل النفسية من عقل وعفة وعدل وشجاعة إلى ما يتعلق بأوصاف الجسم من زينة وبهاء وحسن مظهر وقوام.

ويظهر طبعه الفني في الشعر وعنايته بالمعنى الشعري في تعليقه على قول الراعي:

أخليفــة الرحمـــــن إنـــا معشـــر حنفـــاء نســجد بكـــرة وأصـــيلًا

عرب نرى لله في أموالـــنا حق الزكاة منزلًا تنزيـــلا

قال عبد الملك: "ليس هذا شعراً، هذا شرح إسلام وقراءة آية"[٩١]، ذلك أن التعبير المباشر في هذين البيتين والاعتماد التام على الاقتباس من القرآن الكريم ورصف الكلمات في وزن وقافية لم يشفع لهما أن يكونا في نظر عبد الملك شعراً؛ لأن الشعر عنده ما يعبر عن الوجدان وصور المشاعر والأحاسيس في صيغة فنية مبتكرة دلالة وتركيباً.

وقد عاب على ذي الرمة عدم مراعاته المقام وقلة البراعة في الاستهلال عندما خالف الذوق في مطلع قصيدته:

ما بال عينك منها الـمـــــاء ينسكب كـــأنه مـــــن كلى مفرية سرب

لأنه افتتاح قبيح يمجه السمع، فنحاه عن بلاط الخلافة حتى عاد وأصلح مطلع قصيدته، وانتقد بالحدة نفسها اخفاق جرير في مطلع قصيدته لعدم مناسبته للموقف حين قال:

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هـــمّ صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك معترضًا على قلة ذوقه في مراعاة المقام، بل فؤادك أنت، وتركه يستمر في إنشاد قصيدته لأنه يعلم إنما قصد الشاعر نفسه، لكنه ما كان يرضى منه بأن يصك وجه الممدوح بهذا التساؤل غير اللائق في مطلع قصيدته الذي ينفر منه الذوق، إذ ينبغي للشاعر أن يتجنب الألفاظ والمعاني التي يتطير منها أو يستشنع سماعها، ويأتي بما يطرب له الممدوح ويهش عند سماعه، لذلك لما وصل جرير عند قوله:

ألستم خير من ركب المطايـــا وأندى العالمين بطون راح

جعل الخليفة يقول: نحن كذلك، ردّها عليّ، فأعادها جرير والخليفة يزداد طرباً، ويقول: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت[٩٢].

وعاب على الأخطل نبوّ ذوقه في افتتاحه قصيدته بقوله:

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صـــرفها غِيَرَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال له عبد الملك: بل منك، إن شاء الله، فعدله الأخطل إلى: "قراحوا اليوم" ليناسب المقام ويبتعد بالمقال عن روح التطير والتشاؤم التي نفر منها الخليفة وكره سماعها[٩٣].

وكان عبد الملك بن مروان معجبًا بشعر الأعشى ويرى بكلامه رونقًا وعذوبة آسرة، ويعتقد أن من زعم أن أحدًا من الشعراء أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر[٩٤]، لذلك كان يتخذ من شعره أنموذجًا للمقارنة والمقايسة مع ما يمدح به من شعرن وقد مدحه كثير يومًا فقال:

على ابن أبي العاص دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها
يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستطيع القرم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة فرساء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنةٍ بالسيف تضرب معلمًا أبطالها

أحبّ إليّ مما قلت، وقد حاول كثير أن يلتمس لقوله تخريجًا فنيًّا يرضي به ذائقة الأمير فقال: يا أمير المؤمنين وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق ووصفتك بالحزم والعزم[٩٥]،لكن أهل العلم بالشعر رغم تعليل كثير يفضلون في هذا المعنى قول الأعشى، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الوسط، والأعشى بالغ في وصف الممدوح بالشجاعة حتى جعله شديد الإقدام بغير جنة على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه والصواب له وقد قصّر قول كثير عن الوصف[٩٦]. وذكر ابن قتيبة أن الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان وعنده قوم يتذاكرون الشعر، فذكروا قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي

فقال الأقيشر: والله لقد أساء قائل هذا الشعر، فقال عبد الملك:

فكيف كنت تقول لو كنت قائله؟ قال: كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت أُوكِلْ بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك: والله لأنت أسوأ قولًا منه حين توكل بها، فقال الأقيشر: فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين؟ قال كنت أقول:

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فلم يرتض عبد الملك هذه المخالفة الفجة والمجافاة لطبيعة العرب وغيرتهم على نسائهم فوصف أقوالهم بالسوء وصوبها تصويبًا يتفق مع أنفة العربي وغيرته.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولا يخفى مما تقدم من روايات – إذا صحت – إدراك عبد الملك لمواطن الجودة والرداءة في الشعر، ولما وقع فيه الشعراء من إخفاقات أو عدول عما عهد لدى العرب من نظم الشعر وصياغة المعاني والأفكار وما جرت به عادة الشعراء في أساليب المدح ووصف الممدوحين. وإن لم يشفع ملحوظاته النقدية تلك بأي تحليل أو تعليل بل كان يعبر عما يجيش به فكره ويمليه عليه ذوقه الفطري وحسه المرهف وثقافته الأدبية الواسعة.

ب- وفي الحجاز شاعت روح التسامح والظرف فنشأ فيه شعر رقيق يتفق مع روح العصر وطبيعة أهله الذين اتسموا بالدعابة والذوق الفني والاحتفاء بشعر الغزل الذي دفعت إليه حياة الشباب والترف فانصرفوا عن المديح والهجاء إلى التشبيب ووصف النساء وكان أغلبه على شكل مقطوعات قصيرة تنظم في أوزان خفيفة ومجزوءات الأوزان الطويلة، واصطنع الشعراء لأنفسهم لغة عذبة سهلة ليرضوا أذواق الجمهور المتحضر الذي يستمع إليهم وكانت هذه الممارسة كما يقول شوقي ضيف أول دفعة قوية نحو تصفية الشعر العربي من ألفاظه البدوية الجافة، بل أن التطوير طال المعاني والمضامين فلم يعد الشعر تشبيبًا بالديار وبكاء على الأطلال، وإنما أصبح تصويرًا لأحاسيس الحب والجمال التي سكبها المجتمع الجديد في نفوس الشعراء[٩٧]، وكان الشعراء الذين تتم عندهم عملية الإبداع في لحظة اللاوعي أو ما يشبه الإلهام يصدرون أحيانًا أحكامًا بوعي وإدراك وتذوق وإن كانت الملحوظات النقدية التي أبدوها قليلة ولا تعدو تناول المعاني الجزئية أو المفاضلة والموازنة بين الشعراء وهي السمة الغالبة لنقد هذه البيئة، وقد نسب إلى كثير عزة ونصيب وجميل وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم من شعراء الحجاز بعض الأحكام النقدية التي صدرت عن ذوق فطري وحس شعري يعتمد على الذوق والرواية فكثير يفضل شعر جميل بسبب ما فيه من النسيب، يظهر ذلك من قوله عندما سئل عن جميل، فقال: وهل وطّأ لنا النسيب إلا جميل[٩٨]، فهو عالم بشعره مستوعب له وهو راويته لذلك فضله على كل معاصريه من الشعراء،. ومن أراء كثير في الشعراء أنه اجتمع مرة بعمر بن أبي ربيعة فقال له: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكنك مخطئ الطريق، أخبرني عن قولك:

قالت لترب لها تحدثـــــها لنفسدن الطـــــواف في عمر[٩٩]

أردت أن تتسب بها فنسبت بنفسك، أهكذا يقال للمرأة؟ والله لو وصفت بهذا هرة أهلك لكنت قد أسأت وصفها. فكثير وهو الشاعر العذري يرى أن المرأة توصف بالحياء والإباء والخجل. ووازن مرة بين شعر عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب ونقد بعض أشعارهم معتمدًا على ذوقه الأدبي وثقافته الشعرية الواسعة حيث كان ينتمي إلى مدرسة الشعراء الرواة الذين يقومون على أشعارهم بالتنقيح والتهذيب[١٠٠].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونصيب شاعر يحب التأنق في شعره وقد روي عنه أنه قال: "وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى في النفوس"[١٠١]، وهذا المقياس الفني الذي يرتد إلى الطبع والنفس إضافة إلى عنصر الصدق في التعبير استخدمه في موازنته بين الشعراء المعاصرين له عندما قال: "جميل أصدقنا شعراً، وكثير أبكانا على الظعن، وابن أبي ربيعة أنسبنا، وأنا أقول ما أعرف"[١٠٢]، وفضل عمر بن أبي ربيعة في وصف النساء فقال: "عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال"[١٠٣]، وقد علّق طه حسين على قول نصيب فقال: "ولم يخطئ نصيب حين قال: عمر بن أبي ربيعة "أوصفنا لربات الحجال" فلم يعرف العصر الأموي كله شاعرًا وصف المرأة جملة وتفصيلًا بمثل ما وصفها عمر بن أبي ربيعة جودة وكثرة ودقة بنوع خاص"[١٠٤].

وهو ما أجمله جميل في وصفه عندما أنشده قصيدته التي مطلعها:

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحساب إلى قتلي

فقال جميل: هيهات، سجيس الليالي، والله ما خاطب النسا مخاطبتك أحد[١٠٥]. وقد أنكر على الكميت قوله:

وقد رأينا بها حورًا مـــنعمة بيضًا تكامل فيها الدل والشنب

فقال نصيب: تباعدت في قولك "تكامل فيها الدل والشنب" إنما يكون الدل مع الغنج ونحوه والشنب مع اللعس أو ما جرى مجراه من أوصاف الثغر فكان الدل والشنب في قول الكميت عيبًا لأنهما لفظتان لا تتناسبان بتقارب معنيهما ولا تضادهما[١٠٦].

وعمر بن أبي ربيعة الذي كان له مذهب شعري متفوق في الغزل شهد له بذلك جرير والفرزدق وجميل ونصيب، وقد أثر عن جرير والفرزدق أحكام تصف عمر بن أبي ربيعة بأنه أصاب ما أخطأته الشعراء،[١٠٧]، وكان بعض شيوخ قريش يفضلون عمر على أهل دهره في النسيب ويستحسنون منه ما لا يستحسنون من غيره، وكان عمر لا يميل إلى الشعر الذي تحتشد فيه أسماء الأماكن والقرى والشخصيات والألفاظ غير الشعرية وقد انتقد مالك بن أسماء بن خارجة حين أنشده شيئًا من شعره فقال له عمر: ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه، مثل قولك:

إنّ في الرفقة التي شيّعتنا نحو بَرِيسَمَا لزَينَ الرفاقِ

ومثل قولك:

حبّذا ليلتي بتَلّ بَوَنّا حين نُسقَى شَرابَنَا ونُغَنّى[١٠٨]

وانتقد مبالغة كثير عزة في وصفه شدة وجده وولهه بمحبوبته، وقد وقع هو فيما عابه على كثير فقد عاب عليه الأحوص إغراقه ومبالغته في قوله:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إذا خدرت رجلي أبوح بذكرها ليذهب عن رجلي الخدور فيذهب[١٠٩]

وقد استلطف بعضهم ما أتى به عمر من معنى يشير فيه إلى ما كانت تزعمه العرب من أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر حبيبه زال عنها الخدر[١١٠].

أما النقد الصادر من غير الشعراء ممن يُسمون بالنقاد الذواقين فأغلب رواياته منسوبة إلى ابن أبي عتيق وسكينة بنت الحسين، ولأنهما في بيئة شاع فيها شعر الغزل فيكاد نقدهما يقتصر على هذا النوع من الشعر ويتخصصان فيه، وبينما يذهب بعض الباحثين إلى أن ما نسب إليهما من روايات نقدية هو من فعل صناع القصص والحكايات[١١١]، نجد آخرين يخصون نقدهم بمؤلفات مستقلة توضح ما أثر عنهما من نقد للشعر[١١٢]. بل إن بعض النقاد المعاصرين عدّ ابن أبي عتيق أكبر شخصية ناقدة ظهرت بالحجاز في العصر الأموي، وأنه صاحب بصيرة نافذة في التمييز بين جيد الشعر ورديئه، معتمدًا في نقده على ذوقه المرهف وما أحاط به من ثقافة عصره ومعارفه[١١٣]، مجانسًا في نقده بين روح الشعر المرح الظريف في الحجاز وروح النقد الفكاهي الساخر الذي تناول فيه شعر كل من عمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، ونصيب، والعرجي، وابن الرقيات، وقيس بن ذريح، وعروة بن أذينة وغيرهم، لكن أكثر ما أثر من آرائه وملحوظاته النقدية متصل بشعر عمر بن أبي ربيعة فهو يؤثر شعره ويفضله على سائر شعراء الغزل، وعلّ ذلك بأن "لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة، ليست لشعر غيره، وأشعر الناس من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته" وإذا صح هذا الخبر الذي وازن فيه ابن أبي عتيق بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد الذي ادعى صاحبه أنه أشعر من عمر بقوله:

إني وما نحروا غداة منى عند الجمار يؤدها العقل
لو بدت أعلى مساكنها سئلًا وأصبح سفلها يعلو

وقارنه بقول ابن أبي ربيعة:

سائلا الربع بالبلى وقولا هجت شوقًا لي الغداة طويلًا
أين حيٌّ حلوك إذا أنت محفو فّ بهم أهلٌ أراك جميلاً؟[١١٤]

إن صح هذا فإن ابن أبي عتيق قد أدرك السمات التي امتاز بها فنُّ ابن أبي ربيعة في ألفاظه ومعانيه وبراعة استهلاله في مطالع قصائده وحسن تخلصه وانتقاله من غرض إلى غرض ودقة إصابته لمراده، وهذا يدل على ذوقه ووعيه بخصائص الشعر الجيد التي يتفوق بها شاعر على آخر، وقد قال عن نفسه "أنا بالحسن عالم نظار"[١١٥]، وعندما سمع كثيرًا يقول:

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولست براضٍ من خليل بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

قال: هذا كلام مكافئ ليس بكلام عاشق، وعمر أصدق منك وأقنع إذ يقول:

ليت حظي كلحظة العين منها وكثير منها القليل المهنا[١١٦]

لقد حكم ابن أبي عتيق في موازنته بين القولين على مبدأ صدق العاطفة في القولين فكثير بنى عاطفته على أساس المكافأة والمبادلة المادية المحكومة بمقدار الأخذ والعطاء بين المتحابين، أما عمر فبناها على أساس البذل والعطاء السمح بلا مقابل وهذا عند ابن أبي عتيق دليل على صدق العاطفة وأنها لم تكن مزيفة أو مفتعلة.

وأنشده نصيب مرة قوله:

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا لها بارق نحو الحجاز أطيرُ

فقال له ابن أبي عتيق: "يا ابن أُمّ، قل: غاق، فإنك تطير يعني أنه غراب أسود"[١١٧].

فابن أبي عتيق يتخذ من أسلوبه الساخر أداة ينتقد بها مبالغة الشاعر وغلوه عندما ادّعى أمرًا يمتنع عقلًا وعادة، فتجافى المعنى عن الصدق، واقترب من الكذب رغم تخفيفه له بلفظه "كاد" التي تدل على عدم تحقق وقوعه في بيت نصيب.

وينتقد ابن أبي عتيق غموض المعنى وعدم بيان المراد في قول ابن الرقيات: "سواء عليها ليلها ونهارها" فلما مرّ به ابن الرقيات وسلم عليه، قال ابن أبي عتيق: وعليك السلام يا فارس العمياء! فقال له: ما هذا الاسم الحادث؟ قال: أنت سميت نفسك حيث تقول "سواء عليها ليلها ونهارها" وما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء، قال: إنما عنيت التعب. قال ابن أبي عتيق: فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه[١١٨].

لقد حاول ابن أبي عتيق بطبعه النقدي الساخر أن يلفت انتباه ابن قيس الرقيات إلى ما في شعره من قصور العبارة عن تأدية المعنى المراد وأن السامع قد يفهم منها معنى آخر غير ما يقصده الشاعر.

ولابن أبي عتيق ملحوظات نقدية كثيرة روتها كتب الأدب منها ما يتعلق بألفاظ الشعراء ومعانيهم ومنها ما يتعلق بطبيعة الشعر عندهم ومنها ما يتجه نحو الموازنات والمفاضلات بين الشعراء وطرائقهم في نظم الشعر وأغلبه نقد فطري يعتمد على الطبع والسليقة وليس فيه تفصيل ولا تحليل،ونكتفي بما ذكرنا من شواهد نقده وننتقل إلى الشخصية الثانية التي ذاع صيتها في نقد الحجاز وهي الأديبة الذواقة سكينة بنت الحسين التي عرفت بفصاحتها وحسن بيانها وقدرتها على حفظ الشعر وتذوقه، وقد روى المرزباني[١١٩] موازنتها بين جرير ونصيب وكثير وجميل والأحوص في بعض الأبيات الغزلية وحكمت على هذه

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الأبيات بعدم صدق العاطفة والإحالة والخطأ من جهة المعاني وعدم الإصابة في تصوير عاطفة الشوق والصبابة.

ومما ينسب إليها أو إلى قطام الناقدة أن كثير عزة أنشدها قوله:

وما روضة بالحزن طيبة الثرة   يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا   وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقالت: ويحك: وهل على الأرض زنجية منتنة توقد بالمندل الرطب إلا طاب ريحها، إنك لأقل عقلًا وأضعف وصفاً، ألا قلت كما قال أمرؤ القيس:

ألم ترياني كلما جئت طارقًا   وجدت بها طيبًا وإن لم تطيب ١٢٠

ويلاحظ أن الحكم النقدي رغم اعتماده على الذاتية إلا أنه لجأ إلى التأصيل النقدي بالقياس على بيت لشاعر من الطبقة الأولى اتخذته حجة على عدم دقة الوصف عند كثير عزة حينما ركن إلى الحقيقة المباشرة وأخلى الكلام من المبالغة المستحسنة في مثل هذا المقام.

ويروي المرزباني طائفة من القصص المنسوبة إلى عقيلة بنت عقيل تشبه في سردها ومضمونها ما نسب إلى سكينة وما ذكر أن عقيلة حكمت بين جميل وكثير والأحوص[١٢١]، وبدت عقيلة أكثر حدة في نقدها من سكينة، فهي تقول لكثير أما أنت فألأم العرب عهدًا في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تُمثَّل لي ليلى بكل سبيل

ووالله لولا بيتان قلتهما ما التفت إليك وهما قولك:

فيا حبها زدني جوى كل ليلة   ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وتمضي الرواية بشكلها المسرحي فتنتقد شعرًا لجميل وآخر للأحوص وبالطريقة نفسها، وفي كتب الأدب والتاريخ كثير من القصص والروايات النقدية التي نسبت إلى سكينة بنت الحسين وإلى نساء أمويات مثل عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وقطام، وعائشة بنت طلحة، والشاعرة ليلى الأخيلية، وعزة صاحبة كثير، والنوار، وكلثوم المخزومية، وبعض الجوار في الحجاز، اللواتي يتذوقن الشعر ويحفظنه ويروينه ويعلّقن على بعض الأبيات أو يوازنّ بين الشعراء، ويبدو أن أكثره مصنوع لا يوثق بصحته، وما صح منه لا يرقى إلى مستوى النقد الحقيقي، ولا يسمى نقدًا إلا تجوزًا، فأغلبه لا يعدو من كونه عبارات تأثرية أطلقها أصحابها استحسانًا أو استهجانًا لما يسمعون في اللحظة نفسها فهو لا يخرج عن الانطباعية والتأثرية السائدة في نقد هذا العصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج – واتجه النقد في العراق إلى الموازنة والمفاضلة وبخاصة بين شعراء النقائض الثلاثة، جرير والفرزدق والأخطل، وقد ساعدت الحياة الثقافية الممتزجة التي عاشها العراق والدور الذي اضطلع به سوق المربد في ازدهار المناقضات والأراجيز وما تبعها من أحكام نقدية تتواءم مع طبيعة هذه الأشعار وطبيعة الصراع القائم على العصبيات القبلية والفخر بالأصول والانتماءات الحزبية والعرقية آنذاك، وقد حفلت كتب الأدب والنقد بقدر كبير من المرويات والمآخذ النقدية لشعراء هذه البيئة، وكان النقد فيها متنوعًا بين الناحية الفنية المبنية على الذوق الانطباعي الخالص غير المعلل والنقد العلمي الذي يلفت النظر إلى بعض المآخذ اللغوية عند علماء اللغة والنحو. وأول ما يطالعنا من نقد في هذه البيئة هو حديث الشعراء أنفسهم عن عملية الإبداع الفني لديهم، فالأخطل يذكر أنه أقام في قول قصيدة عامًا كاملاً[١٢٢]، والفرزدق يصف معاناته في نظم الشعر فيقول: أنا أشعر تميم وربما أتت عليّ ساعة ونزع ضرس أهون عليّ من قول بيت واحد، والعجاج يقول ابتدأت القول في مرثية فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد[١٢٣]، فللشعر أوقات يسرع فيه آتيه ويسمح أبيّه وأوقات وحالات يبعد فيها قريبه ويستصعب فيها ريضه، يتفاوت فيها الشعراء لذلك قالوا: "الفرزدق ينحت في صخر، وجرير يغرف من بحر" وفي ضوء هذا يمكن القول إن بعض الشعراء يسهل عليه القول في غرض شعري يجيده ويتفوق فيه، ويعسر عليه أحيانًا القول والاسترسال في غرض آخر، وقد عبر الأخطل عن ذلك بقوله: "أنا أمدحهم للملوك، وأنعتهم للخمر والحمر – يعني النساء – وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا"[١٢٤]. وهذه القدرة التي يتفاوت فيها الشعراء ليست في الأغراض والمضامين فحسب بل تشمل جزالة الألفاظ ورقتها وقد أدرك الفرزدق ما بين شعره وشعر جرير من تفاوت فقال: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري وما أحوجني إلى رقة شعره[١٢٥]، فسهولة الأسلوب ورقته لدى جرير جعلت لشعره سيرورة في الناس لم تكن لصاحبيه رغم جزالة شعر الفرزدق وقوة أسره وتمكنه من اللغة وغريبها، وفحولة الأخطل ودقة تصويره وقلة سقطه في شعره.

ومن الأحكام العامة التي وازنت بين الشعراء الثلاثة بالنظر إلى كافة أشعارهم ما جاء في الموشح قال: "كان يقال للأخطل: إذا لم يجيء سابقًا سُكيت، أي إذا لم يكن الأول كان الأخير بين أقرانه، والفرزدق لا يجيء سابقًا ولا سُكيتاً، فهو بمنزلة المصلي (أي الثاني بين أقرانه)، وجرير يجيء سابقًا وسكيتًا ومصليًا لأن له روائع هو بهن سابق وأوساط هو بهنّ مصلّ وسفسافات هو بهن سكيت[١٢٦]، لذلك كان أهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب. وطبيعي ألا نجد إجماعًا على أشعر هؤلاء الثلاثة لتفاوت الأذواق واختلاف وجهات النظر في المذاهب الأدبية فالميول والثقافات تدعو إلى الاختلاف في تقدير الشعر وتحديد

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

منزلة الشاعر، ومصداق ذلك قول يونس بن حبيب "وما شهدت مجلسًا قط ذكر فيه الفرزدق وجرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما"[١٢٧]، وذلك لأنهما طبقتان، فمن كان يميل إلى جزالة الشعر وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل فيقدم جريراً[١٢٨].

وأما ما صدر عن هؤلاء الثلاثة من أحكام نقدية وروته كتب الأدب حول الشعر والشعراء فيظهر في أغلبه التلفيق والاختلاف من قبل الإخباريين والرواة، يدل على ذلك هذا الاتفاق العجيب بين الأقوال والطريقة التي سردت بها الحكاية النقدية[١٢٩]، فقد قيل للأخطل: من أشعر الناس؛ قال: أنا، غير أن الفرزدق قال أبياتًا لم أستطع أن أكافئه عليها، وهي قوله:

يا ابن المراغة والحجان إذا التقت أعناقهـــا وتماحـــل الخصـــمان

لو يسمعون بأكلـــه أو شـــريـــه بعمان صبح جمعهم بعمان

وقيل للفرزدق: من أشعر الناس؛ قال: أنا، غير أن الأخطل قال أبياتًا لم أستطع أن أكافئه عليها، وهي قوله:

ولقد شددت على المراغة سرجها حتى نزعت وأنت غير مجيد ١٣٠

وكذلك ما روي عن عمارة بن عقيل من أن جريرًا والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية، فسأل كل واحد منهما على انفراد عن ذي الرمة فكلاهما قال: "أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره"[١٣١].

كما أن الفرزدق سئل عن شعر نصيب فقال: "هو أشعر أهل جلدته.

ومرّ جرير بنصيب وهو ينشد فقال له: "اذهب فأنت اشعر أهل جلدتك" واتفقا أيضًا في تفضيل بشر بن أبي خازم وأنه أشعر العرب[١٣٢]، هذا فضلا عن اتفاق الثلاثة في ادعاء كل واحد منهم أنه أشعر الناس في عدد من الروايات مما جعل بعض الباحثين يقول: "لا أظن أن من الممكن رسم خط فاصل واضح بين الصحيح والمكذوب" فيما ورد عنهم من أحكام نظرًا للاتفاق الشديد الذي لا يمكن تفسيره بالمصادفات[١٣٣].

ومما روت لنا كتب الأدب من أقوال جرير: "أن زهيرًا أشعر الناس في الجاهلية، ومرة أ عر الناس عنده ابن العشرين، طرفه، وابن أبي سلمى والنابغة، وأشعر الناس عنده في الإ لام الفرزدق" نبعة الشعر في يده، والأخطل "يجيد نعت الملوك ويقول عن نفسه: "أنا نحرت الشعر نحراً"[١٣٤]، وروى صاحب الموشح أنه قال: "الفرزدق نبعة من الشعر وهو قابض عليها، وأما الأخطل "فأشدنا اجتراء وأرمانا للفرائص، وأما أنا فمدينة الشعر"[١٣٥]، وله أقوال في شعر امرئ القيس والخنساء ونصيب وذي الرمة ومزاحم بن عقيل وعدي ابن

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الرقاع، وأغلبها يتقاطع مع أقوال نسبت للفرزدق أو للأخطل، فأصدق الشعراء وأفخرهم وأحسنهم تشبيهًا عند الفرزدق هو امرؤ القيس ومن فخره قوله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني، ولم أطلب، قليل من المال
ولكنني أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي[١٣٦].

وينفرد الفرزدق برأيه في شعر ابن حطان– وإن كان الأخطل قد فضله على شعراء اجتمعوا عند عبد الملك لأنه يقول وهو صادق فيفوقهم وهم يكذبون – والكميت، حيث قال عن الأول: "لو أراد أن يقول مثل ما نقول لقال، وإنا لا نحسن ما قاله" وقال للكميت بعد أن أنشده: "يا ابن أخي أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي" وهذه أحكام تعميمية ناتجة عن التأثر بما قال الشاعر أو ما عرف عن شعره بعامة.

والروايات لا تجعل الأخطل يستقر على حكم واحد في من هو أشعر الناس، فمرة يرى نفسه أشعر الناس وأخرى يجعل فيها ابن مقبل أشعر الناس، ثم يعود ليعترف بأن النابغة أشعر منهم ويُسأل مرة فيفضل الأعشى لأنه إذا مدح رفع وإذا هجا وضع ثم طرفة، وأشعر أهل الإسلام عنده الفرزدق وجرير وهو أشعر منهما[١٣٧]، وهذا التناقض يثير الشك حول هذه الروايات ولا مسوغ لها إن صحت إلا أنها أقوال انطباعية آنية لا يسندها تأمل ولا تدبر ولا تعليل.

وذو الرمة له مذهب شعري مختلف سأل الفرزدق مرة ما لي لا ألحق بكم معاشر الفحول؟ فقال: لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار[١٣٨]، فتأخر ذي الرمة عن الفحول في رأي الفرزدق بسبب انصرافه عن الأغراض الشعرية الأساسية في بيئة العراق في ذلك العصر وإسرافه في الوقوف على الديار ووصف الناقة والرحلة والسفر فلم تكن تلك الطريقة موفقة لا من الوجهة الاجتماعية ولا من الوجهة النفسية في العصر الأموي إذ لا يمكن الاستهانة بالمدح والهجاء والفخر في عصر يجمع العلماء بالشعر على أنه وضع على أربعة أركان مديح رافع أو هجاء واضع أو فخر سابق أو تشبيه مصيب"[١٣٩]، وذو الرمة متفوق في التشبيه لكنه في المدح والهجاء شاعر مغلّب ومن إدراكه لدقة الوصف نقده لقصيدة الكميت التي عارض فيها بائيته بقوله:

هل أنت في طلب الايفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب

قال ذو الرمة: ويحك! إنك لتقول قولًا ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيدًا منه.

فالوصف والتشبيه مما أجاد فيه ذو الرمة ولديه القدرة على نقده ومعرفة أبعاده، كما فطن لروعة النغم في قول الكميت: "أبت هذه النفس إلا ادكارا "

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

فقال له: أحسنت يا أبا المستهل في ترقيص هذه القوافي وتعلم عقدها.

وكان العجاج الراجز ينتقد الكميت والطرماح في أنهما يأخذان عنه الغريب فيضعانه في غير موضوعه، ثم يمعن في النقد فيعلل ذلك بأنهما يصفان ما لم يريا فيخطئان[١٤٠].

هذه نماذج وصور من نقد الشعراء لم تخضع لتحليل أو تعليل وإنما اعتمدت على الذوق الخالص وعلى الانطباع الشخصي بما يتركه الشعر من أثر في نفس السامع أو المتلقي، وعلى ما شاع من روح العصر ونوازعه وأهوائه وظل النقد فيه انطباعيًا تأثريًا لأن نشأته كانت في عهد فطري خالص يرينا أن العرب تذوقوا فيه كثيرًا من جمال الأدب[١٤١] وعرفوا بعض مظاهر الضعف والقوة في كلامهم قبل أن يضع العلماء أصولًا وقواعد ومعايير يفرق بها بين جيد الشعر ورديئه.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١ القرآن الكريم.

٢ إبراهيم، طه، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المكتبة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٣ الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط ٦، ١٩٨٦م.

٤ الأصمعي: فحولة الشعراء، دار الكتب الجديدة، ط١، ١٩٧١م.

٥ الآمدي: الموازنة بين الطائيين، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.

٦ الآمدي، المؤتلف والمختلف، ت، كرنكو، ط١،دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٧ الباقلاني، إعجاز القرأن، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

٨ بلاشير، تاريخ أألدب العربي، تحقيق ابراهيم الكيالني، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م.

٩ التهامي، رفعت، النقد أألدبي العربي القديم تطوره وقضاياه، دار النشر الدو لي، ط ١، الرياض، ٢٠٠٨.

١٠ التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت،١٩٨٨م.

١١ الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الحاوي، بيروت، ١٩٧١م.

١٢ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، الخانجي، ١٩٨٥م.

١٣ الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٤٥م.

١٤ الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، المدني، ١٩٩٢م.

١٥ الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق البجاوي، بيروت، دار القلم، ١٩٦٦م.

١٦ ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق خفاجي، القاهرة، الأزهرية، ١٩٨٠م.

١٧ الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق الكتاني، بغداد، وزارة الثقافة.

١٨ الحاجري، طه، في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، ط رويال، الإسكندرية، ١٩٥٣م.

١٩ حسين، طه، حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة.

١٩ حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٠ الحموي، ياقوت، معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٢١ ابن حنبل، أحمد، المسند، ت، الأرناؤوط، الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٢ الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق الصعيدي، القاهرة ن ١٩٥٣م.

٢٣ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٨١م.

٢٤ ابن زهير، كعب، الديوان، تحقيق عباس عبد القادر، دار الكتب القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٥ سرحان،عبد السالم، قطوف من ثمار الأدب في الجاهلية وصدر الإسالم، ط٢،الفجالة، ١٩٧١م.

٢٦ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبغة المدني، ١٩٧٤م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٢٧ ابن أبي سلمى، زهير، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٨ الشنتمري، الأعلم، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، بيرو ت، دار الآفاق، ١٩٨١م.
٢٩ الصفار، ابتسام، ناصر حلاوي، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة، الأردن، ٢٠٠٦م.
٣٠ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ١٩٦٠م.
٣١ ضيف، شوقي، تاريخ االدب العربي، العصر الجاهلي.، دار المعارف، ط ٨،القاهرة ن ١٩٦٠م.
٣٢ الطاهر، جواد، مقدمة في النقد ألدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٧٩م.
٣٣ طبانة، بدوي، دراسات في نقد ألدب العربي، دار الثقافة، بيروت،ط٦، ١٩٧٤م.
٣٤ عباس، إحسان،تاريخ النقد ألدبي عند العرب، دار الثقافة، ط ٤، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٥ عتيق، عبد العزيز، ابن أبي عتيق ناقد الحجاز، دار ألحد، بيروت، ١٩٧٢م.
٣٦ عبد الرحمن، مصطفى، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، ١٩٩٨م.
٣٧ العسكري: أبو هلال، ديوان المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٣٨ العضيبي، عبد الله، النقد عند الشعراء، ضفاف، الرباط، ٢٠١٣م.
٣٩ الغوث، مختار، قضايا النقد العربي القديم، البينة للنشر، ط ١، ٢٠١١م.
٤٠ القالي: أبو علي، الأمالي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م
٤١ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٩م.
٤٢ القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، دار الهلال، بيروت، ط١ ١٩٩٩م.
٤٣ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م.
٤٤ المرزباني، الموشح، تحقيق البجاوي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م.
٤٥ مرزوق،حلمي، دراسات في الأدب والنقد، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دار الشؤون الثقافية، ط١،بغداد ١٩٨٦م.
٤٦ المطلبي، عبد الجبار،الشعراء نقادًا.
٤٧ مندور، محمد،النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٤م.
٤٨ مندور، محمد، الميزان الجديد، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٧م.
٤٩ ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش والمراجع

[١] انظر: مندور، محمد، الميزان الجديد، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٧م، ص١٢٦.
[٢] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني،ج١، ص٣٤، ١٩٧٤م.
[٣] انظر: الميزان الجديد،، ص١٢٦.
[٤] الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، المدني، ١٩٩٢م، ص١٦٦.
[٥] ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق خفاجي، القاهرة، الأزهرية، ١٩٨٠م، ص٦١.
[٦] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٨١م، ج٢، ص٨٣.
[٧] الآمدي: الموازنة بين الطائيين، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م، ص١٩.
[٨] الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسالم هارون، القاهرة، ١٩٤٥م، ج٢، ص٩.
[٩] العضيبي، عبد الله، النقد عند الشعراء، ضفاف، الرباط، ٢٠١٣م، ص١٩ وما بعدها.
[١٠] الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م، ص ١١٧.
[١١] مرزوق، حلمي، دراسات في الأدب والنقد، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص٣.
[١٢] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص١١٧.
[١٣] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الحاوي، بيروت، ١٩٧١م،ج١ ص ١٦.
[١٤] الحموي، ياقوت، معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ج٨، ص١٨٩، وانظر: العضيبي، النقد عند الشعراء، ص ٢٢.
[١٥] انظر: مرزوق،حلمي، دراسات في الأدب والنقد، ص١٢.
[١٦] ابن رشيق، العمدة،ج١، ص٧٥.
[١٧] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص٧.
[١٨] الجاحظ، البيان والتنيين، تحقيق عبدالسالم هارون، القاهرة، الخانجي، ١٩٨٥م، ج ٢،ص٢٤.
[١٩] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص ٥.
[٢٠] الآمدي، الموازنة، ص٣٧٢.
[٢١] الموازنة، ص ١٧٠
[٢٢] الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق البجاوي، بيروت، دار القلم، ١٩٦٦م، ص٩٩.
[٢٣] انظر: طبانة، بدوي، دراسات في نقد الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت،ط٦ ١٩٧٤م، ص٣٦.
[٢٤] الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص١٠٠.
[٢٥] انظر: الطاهر، جواد، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٧٩م، ص٣٤١.
[٢٦] الجاحظ،الحيوان، ج١، ص ٧١.
[٢٧] طبقات فحول الشعراء، ص ١٢.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

[٢٨] طبقات فحول الشعراء، ص ١٧.
[٢٩] زهير بن أبي سلمى، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٥٤.
[٣٠] كعب بن زهير، الديوان، تحقيق عباس عبد القادر، دار الكتب القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٦٠.
[٣١] الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٠.
[٣٢] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، الخانجي، ١٩٨٥م، ج٢،ص١٣.
[٣٣] البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٣.
[٣٤] الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ج ٨، ص ١٤٥.
[٣٥] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط ٨، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٣٦.
[٣٦] إبراهيم، طه، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المكتبة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص ص ١٦-١٨.
[٣٧] مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٤م، ص ١٧.
[٣٨] المرزباني، الموشح، تحقيق البجاوي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م، ص٢٣.
[٣٩] الغوث، مختار، قضايا النقد العربي القديم، البينة للنشر، ط ١، ٢٠١١م، ص ٩ وما بعدها.
[٤٠] الأغاني، ج٢١، ص١٣٢، الشعر والشعراء، ص٧٥، الصناعتين، ص ١٠١، الموازنة، ج٢، ص٣٩.
[٤١] الأغاني، ج٢١، ص١٣٢.
[٤٢] مختار الغوث : قضايا النقد العربي القديم، ص ٢٢.
[٤٣] المرزباني، الموشح، ص ٧٧.
[٤٤] انظر: طه ابراهيم، تاريخ النقد، ص ص١٩-٢٠.
[٤٥] انظر: الحاجري، طه، في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، ط رويال، الإسكندرية، ١٩٥٣م، ص٤٢.
[٤٦] المرزباني،الموشح، ص٩٦.
[٤٧] الغوث، قضايا النقد، ص ص٤٩، وما بعدها.
[٤٨] عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط٤، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٣.
[٤٩] المرزباني، الموشح، ص٦٧.
[٥٠] ابن سلام، الطبقات، ص ٩٥، وانظر: الموشح، ص٣٨.
[٥١] الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط ٦، ١٩٨٦م، ص٣٧٥.
[٥٢] الشنتمري، الأعلم، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، بيروت، دار الآفاق، ١٩٨١م، ج١، ٢٤٩.
[٥٣] حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ج١، ص ٣٠٥.
[٥٤] انظر : إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص ٣٣.
[٥٥] انظر : التهامي، رفعت، النقد الأدبي العربي القديم تطوره وقضاياه، دار النشر الدولي، ط١، الرياض، ٢٠٠٨ م، ص ٤٨.
[٥٦] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٢٧.
[٥٧] سورة النجم، آية ٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٥٨] سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤-٢٢٧.
[٥٩] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٢٧.
[٦٠] ابن رشيق، العمدة، ج١، ص١٢.
[٦١] بلاشير، تاريخ الأدب العربي، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م، ص ٣٢٤.
[٦٢] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٩م، ج١/٣١١.
[٦٣] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ١٩٦٠ م، ص٨١.
[٦٤] انظر: سرحان،عبد السلام، قطوف من ثمار الأدب في الجاهلية وصدر الإسلام، القسم الأول، ط٢، الفجالة، ١٩٧١م، ص٣٩٨.
[٦٥] انظر: عبد الرحمن، مصطفى، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، ١٩٩٨م، ص٦٧.
[٦٦] ابن حنبل، أحمد، المسند، ج٢، ص٥٩١، وانظر: ابن رشيق، العمدة، ج١، ص٢٧.
[٦٧] ابن رشيق، العمدة، ج١، ص٢٧.
[٦٨] العمدة، ج١، ص٢٧.
[٦٩] العمدة،،ج١/٧،وانظر: ابن قتيبة،الشعر والشعراء، ج ١، ص١٥٥.
[٧٠] ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٣٢.
[٧١] السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٩.
[٧٢] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص٢٣.
[٧٣] ابن رشيق، العمدة، ج١، ص٢٠.
[٧٤] العمدة،ج١، ص٣٣.
[٧٥] الجاحظ، البيان والتبيين،ج ٢، ص١٠٢.
[٧٦] الأصفهاني: الأغاني،ج ١٣، ص١٦٠.
[٧٧] الأغاني، ج١٠، ص٢٣٩.
[٧٨] ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ج١، ص٢٩١.
[٧٩] انظر: الجاحظ، البيان والتبيين،ج١، ص ص٢٣٩ – ٢٤٠.
[٨٠] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٦٠، وانظر: الشعر والشعراءج١، ص ١٦٤.
[٨١] مختار الغوث: قضايا النقد الأدبي القديم، ص٥٧.
[٨٢] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص١١٥.
[٨٣] العسكري: أبو هلال، ديوان المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٠.
[٨٤] انظر: الأصمعي: فحولة الشعراء، دار الكتب الجديدة، ط ١،١٩٧١م، ص ص ٥-٩، وانظر: العقد الفريد، ج١، ص ١٦٥.
[٨٥] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص١٦٨.
[٨٦] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ٥٦/١.
[٨٧] انظر: التهامي، النقد العربي القديم تطوره وقضاياه، ص١٠٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

[٨٨] ابن رشيق، العمدة،ج١، ص٢٩، وانظر: العسكري، ديوان المعاني، ج ١، ص١١٤.
[٨٩] العسكري، ديوان المعاني، ج١، ص٢٦.
[٩٠] المرزباني، الموشح، ٢٩٤.
[٩١] الموشح، ص ٢٤٩.
[٩٢] القالي: أبو علي، الأمالي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ج ٣، ص٤٣.
[٩٣] انظر: المرزباني، الموشح، ص ١٩٠.
[٩٤] القرشي، أبو زيد،جمهرة أشعار العرب، دار الهلال، بيروت، ط ١٩٩٩،١م، ص ٦٧.
[٩٥] المرزباني، الموشح، ٢٣١.
[٩٦] الموشح، ص٢٣١.
[٩٧] انظر: شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص ٣٤٨.
[٩٨] الأصفهاني، لاأغاني، ج ٨، ص٩٧.
[٩٩] المرزباني، الموشح، ص ٢١٣
[١٠٠] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م، ج٢، ص١٥٥.
[١٠١] ابن رشيق، العمدة،ج١،ص ٩٧.
[١٠٢] المرزباني، الموشح، ٣٢١.
[١٠٣] الأصفهاني، الأغاني،ج١، ص٧٤.
[١٠٤] حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج١، ٣٠٤.
[١٠٥] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٠٦.
[١٠٦] الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، تحقيق الصعيدي، القاهرة ن ١٩٥٣م، ص ٢٠١.
[١٠٧] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١١٦.
[١٠٨] الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ٢٣٥، وينسب مثل هذا القول إلى الفرزدق بدلا من عمر، انظر: الموازنة ج٢، ص ٣٢٦.
[١٠٩] المرزباني، الموشح، ص٣٦١، وانظر: العضيبي: الشعراء نقادًا.
[١١٠] انظر: التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق : وداد القاضي، دار صادر، بيروت،١٩٨٨م، ج١، ص٢١.
[١١١] انظر: الغوث، قضايا النقد العربي القديم، ص٧٠.
[١١٢] انظر: عتيق، عبد العزيز، ابن أبي عتيق ناقد الحجاز، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٢م. ص ص ١٥٥، وما بعدها.
[١١٣] ابن أبي عتيق،ناقد الحجاز، ص٣٩٤.
[١١٤] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٥١.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

[115] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٢٢٦.
[116] الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ص ٩٥- ٩٦.
[117] الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ٣٦٤.
[118] الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ص ٨٦ -٨٧.
[119] الموشح، ص ٢٠٩.
[120] الموشح، ص٢٣٩.
[121] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ٣٧٧
[122] ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ج ٢٧٧/١،انظر: العضيبي، النقد عند الشعراء، ص٤٤.
[123] الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٩.
[124] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ٣٧٧.
[125] الشعر والشعراء، ص ٣٧٧.
[126] المرزباني، الموشح، ص١٥٣.
[127] الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٨١٢.
[128] الأغاني، ج ٨، ص ٨١٣، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد ١٩٨٦م، ص٨٧.
[129] انظر: المطلبي، عبد الجبار،الشعراء نقادًا.
[130] جمهرة أشعار العرب، ج ١، ص ص١٠٩ – ١١٠.
[131] الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص١٨.
[132] الأغاني، ج١، ص٣٣٨، وانظر: ابن سلام، الطبقات،ج ٢، ص٦٧٥.
[133] انظر: عبد الجبار المطلبي، الشعراء نقادًا.
[134] الأغاني، ج٨، ص ٢٨٥.
[135] الموشح، ص٢٠٧.
[136] الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق الكتاني، بغداد، وزارة الثقافة، ج ١، ص٣٢٨.
[137] انظر: الأصفهاني، الأغاني،ج ٨، ص ص٢٩٧،٣٠٣،٢٨٨،٢٨٧، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص٩٣.
[138] الموشح، ض٢٧٤
[139] الموشح، ص٢٧٣.وانظر: الصفار، ابتسام،ناصر حلاوي، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، جهينة، الأردن، ٢٠٠٦م، ص٩١.
[140] الموشح، ص ٢٧٣، وانظر: طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي، ص٤٣.
[141] انظر: طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي، ص ٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

Abstract

This research attempts to monitor the impressionistic vision in criticizing poetry in its first stages of the pre- Islamic era till the end of Umayyad era، that's through identifying the most prominent critical narrations that was attributed by the literary sources to such era. By elucidation the features of these narrations، it has been found that criticizing the poetry in that stage was an impressed criticism depending on personal taste and controlled by self-motives and timely emotions which were free of analysis، explanation and deduction; a primary stage the criticism witnessed before its conversion to normativity and objectivity. The impressionistic criticism came in summarized phrases and general rules dedicated by instinct and the nature of the life accompanying the poetry in that period and should be taken in both place and time frame، without projections that don'ts match with the spirit of the era and the nature of poetry criticism attributed to it.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner